منزلة الشهداء عند ربهم

وَالْمُؤَامَرَةُ عَلَى مِصْرَ الآنَ!!

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا

فَقَدِ امْتَحَنَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ وَالرُّكُوعِ فَاسْتَجَابُوا طَائِعِينَ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالزَّكَاةِ وَدَفْعِ الْمَالِ فَاسْتَجَابُوا طَائِعِينَ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ فَلَبَّوْا -كَذَلِكَ- طَائِعِينَ.

ثُمَّ جَاءَ الِامْتِحَانُ الْأَكْبَرُ وَالِاخْتِبَارُ الْأَعْظَمُ، فَكَانَ أَنْ طَلَبَ مِنْهُمْ أَرْوَاحَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ يَبْذُلُونَهَا فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ فَتَقَدَّمَ أَقْوَامٌ وَتَأَخَّرَ آخَرُونَ!

تَأَخَّرَ الْمُنَافِقُونَ: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].

وَتَقَدَّمَ الصَّادِقُونَ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

فَفَرَّقَ اللهُ ﷻ بِالْجِهَادِ بَيْنَ الصَّادِقِينَ وَالْكَاذِبِينَ، بَيْنَ الْمُحِبِّينَ للهِ وَرَسولِهِ ﷺ وَالْمُدَّعِينَ.

إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ هُوَ أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا، وَهُوَ أَيْسَرُ الطُّرُقِ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْجَنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْلا أَنْ يَشُقَّ عَلَىٰ**

المُسلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ بَذْلَ أَعْظَم وَأَنْفَس مَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ أَنْفُسُهُمْ يَبْذُلُونهَا دُونَ خَوْفٍ وَلَا تَرَدُّدٍ، وَلَمَّا كَانَ فِيهِ بَذْلُ الْأَمْوَالِ وَتَرْكُ الزَّوْجَاتِ وَالذُّرِّيَّاتِ، وَهَجْرُ الْمَسَاكِنِ وَالْأَوْطَانِ وَالْمَلَذَّاتِ.

وَلَمَّا كَانَ فِيهِ قَتْلُ الْأَنْفُسِ وَإِرَاقَةُ الدِّمَاءِ؛ كَانَ حَرِيًّا بِالشَّرْعِ أَنْ يَضَعَ لَهُ أَعْظَمَ الضَّوَابِطِ وَأَقْوَىٰ الْأَحْكَامِ؛ حَتَّىٰ لَا تُرَاقَ الدِّمَاءُ فِي كُلِّ وَادٍ وَبِكُلِّ سَبِيلٍ، وَحَتَّىٰ لَا يَخْتَلِطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ، وَلَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ(٢).

إِنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْوَاحَهُمْ هِيَ أَعْظَمُ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ؛ لِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنيَا أَهوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**»(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١٨٧٦).

(٢) أخرج مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٩٠٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ**»، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟! قَالَ: «**الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**».

(٣) أخرجه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي (٧/ ٨٢)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، وأخرجه أيضا ابن ماجه (٢٦١٩)، من حديث: الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، بنحوه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ٢٤٣٨، و٢٤٣٩).

وَقَالَ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ: «**مَا أَطْيَبَكِ! وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ! وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ؛ مَالِهِ وَدَمِهِ**»(١).

وَقَدْ بَيَّنَ الدِّينُ الْعَظِيمُ -كِتَابًا وَسُنَّةً- أَنَّ الْجِهَادَ لَيْسَ غَايَةً فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ.

فَالْجِهَادُ لَيْسَ هَدَفًا فِي ذَاتِهِ وَلَا غَايَةً، إِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ لِرَفْعِ رَايَةِ الدِّينِ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتمامه: «...، **مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَفْجِيرَاتُ بُروكْسِل بَيْنَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ/ ٢٥-٣-٢٠١٦م.

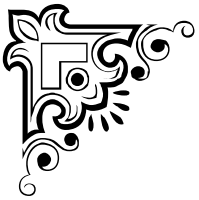

مَعْنَى الْجِهَادِ وَنَوْعَاهُ وَشُرُوطُهُ

الْجِهَادُ: مَأْخُوذٌ مِنَ الْجَهْدِ، وَهُوَ التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ، أَوِ الْجُهْدِ -بِضَمِّ الْجِيمِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ- وَهُوَ بُلُوغُ الطَّاقَةِ.

فَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُتْعِبُ نَفْسَهُ، وَيَبْذُلُهَا لِطَاعَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ رَاجِيًا ثَوَابَهُ، وَطَامِعًا فِي جَنَّتِهِ، يَبِيعُ الْحَيَاةَ الْمَحْدُودَةَ الْمُنَغَّصَةَ بِالْحَيَاةِ الْأُخْرَوِيَّةِ الْخَالِيَةِ مِنَ التَّنْغِيصِ، وَالَّتِي لَيْسَ لَهَا حُدُودٌ وَلَا نِهَايَةٌ.

يُشْتَرَطُ فِي هَذَا الْجِهَادِ:

* أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى الْعِلْمِ؛ حَتَّى يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ الْأَمْرَ الَّذِي يُجَاهِدُ فِيهِ.

* وَأَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْإِخْلَاصُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَعْظَمُ شَرْطٍ فِيهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

وَالْجِهَادُ الشَّرْعِيُّ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ، إِلَىٰ:

* جِهَادٍ بِالْعِلْمِ وَاللِّسَانِ.

* وَجِهَادٍ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

* فَأَمَّا الْجِهَادُ بِالْعِلْمِ وَاللِّسَانِ: فَهُوَ طَلَبُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَتَعَلُّمُهُ عَلَىٰ أَيْدِي الْمَشَايِخِ الْمُعْتَبَرِينَ، فَيَأْخُذُونَ ذَلِكَ الْعِلْمَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي نَشْرِهِ -أَيْ فِي نَشْرِ ذَلِكَ الْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمَهُ وَحَمَلَهُ-، وَيُجَاهِدُ النَّاسَ عَلَىٰ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ بِالتَّعْلِيمِ، وَالْخُطَبِ، وَالْمُحَاضَرَاتِ، وَالْكِتَابَةِ.

وَيُجَاهِدُ أَصْحَابَ الِانْحِرَافِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْخَارِجِينَ عَنِ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، الْآخِذِينَ بِالْحِزْبِيَّاتِ الْبِدْعِيَّةِ، فَجِهَادُهُمْ بِبَيَانِ أَخْطَائِهِمْ، وَإِظْهَارِ فَسَادِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ.

هَذَا كُلُّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَهُوَ قِتَالُ الْكُفَّارِ عَلَىٰ نَشْرِ الْإِسْلَامِ بِالْآلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ، وَهَذَا أَيْضًا أَعْظَمُ الْجِهَادِ، **وَلَكِنْ لَهُ شُرُوطٌ**:

تَقَدَّمَ ذِكْرُ:

* الْعِلْمِ.

* وَالْإِخْلَاصِ.

* **وَأَيْضًا**: أَنْ يَكُونَ الْجِهَادُ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ، بِأَنْ يَكُونَ تَحْتَ رَايَةِ إِمَامٍ مُسْلِمٍ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ مُبَيِّنًا هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْجِهَادِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فَهَذِهِ الْآيَةُ شَمَلَتِ النَّوْعَيْنِ: الْجِهَادَ بِالْعِلْمِ وَاللِّسَانِ، وَالْجِهَادَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

الْجِهَادُ بِالنَّفْسِ؛ كِلَا الْجِهَادَيْنِ مُتَرَتِّبٌ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَمَعْرِفَتِهِ وَإِتْقَانِهِ، ثُمَّ يُجَاهِدُ فِي نَشْرِهِ، وَيُجَاهِدُ مَنْ خَالَفَهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِجِهَادِ النَّفْسِ.

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُجَاهِدَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ -أَيْ بِالسِّلَاحِ وَالْعَتَادِ- وَذَلِكَ يَكُونُ فِي كُلِّ زَمَانٍ بِحَسَبِهِ - لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِجِهَادِ النَّفْسِ أَيْضًا.(*).

* **كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْجِهَادِ**:

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْجِهَادِ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ بِالْقَلْبِ، وَبِالْبَيَانِ، وَبِالسِّنَانِ.

وَكَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ مَوْقُوفَةً عَلَىٰ الْجِهَادِ بِقَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ، وَيَدِهِ، وَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْجِهَادِ بِالْبَيَانِ مِنْ حَيْثُ بَعَثَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَة ٨١ - الْأَرْبِعَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ٣-٣-٢٠١٠م.

كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥١- ٥٢].

فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِيَّةٌ أُمِرَ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ، وَإِلَّا فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «مُهَذَّبُ زَادِ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ/ ٢٦-٣-٢٠١٤م.

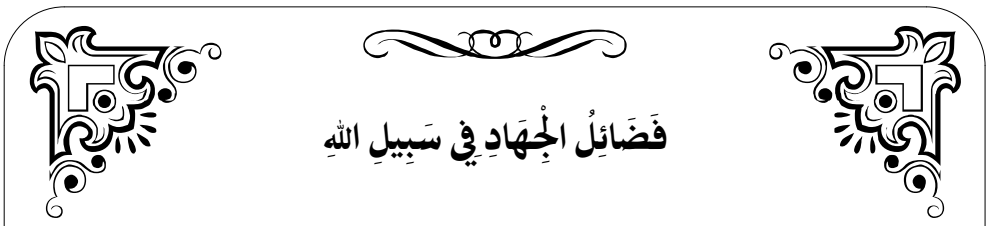

فَضَائِلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ

فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبُشْرَيَاتٍ لِجُنُودِنَا الْمُرَابِطِينَ الْمُدَافِعِينَ عَنْ مِصرْنَا الْإِسْلَامِيَّةِ:

*** مِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّىٰ زَالَتِ الشَّمْسُ، قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**».

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**»(١).

«فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ»: أَيْ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ، وَالْحَرْبُ يُسَمَّىٰ يَوْمًا وَإِنِ اسْتَغْرَقَ أَيَّامًا.

---

(١) «عمدة الأحكام» لعبد الغني المقدسي (رقم٤١٦)، وأخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٣٠٢٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» (رقم١٧٤٢).

«انْتَظَرَ»: أَيْ تَأَخَّرَ إِلَىٰ مَا بَعْدَ الزَّوَالِ.

أَخْبَرَ عَبْدُ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ الْعَدُوَّ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ، فَانْتَظَرَ وَلَمْ يَبْدَأْ بِالْقِتَالِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ، وَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ - وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ- قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا، فَنَهَاهُمْ عَنْ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**»: أَيْ إِنْ حَقَّقَ اللهُ ذَلِكَ، وَابْتُلِيتُمْ بِلِقَاءِ الْعَدُوِّ فَاصْبِرُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَاتْرُكُوا الْجَزَعَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ إِحْدَىٰ الْحُسْنَيَيْنِ؛ إِمَّا أَنْ يُظْفِرَكُمُ اللهُ بِعَدَوِّكُمْ، وَتَكُونَ لَكُمُ الْغَلَبَةُ، وَيَجْمَعَ اللهُ لَكُمْ بَيْنَ قَهْرِ الْعَدُوِّ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ تُغْلَبُوا بَعْدَ أَنْ بَذَلْتُمُ الْمَجْهُودَ فِي الْجِهَادِ، فَيَكُونُ لَكُمُ الثَّوَابُ الْأُخْرَوِيُّ.

«**وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»: فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

ثُمَّ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ بِشَرْعِهِ الْمُنَزَّلِ، وَبِقُدْرَتِهِ الْكَامِلَةِ عَلَىٰ إِجْرَاءِ السَّحَابِ، وَعَلَىٰ أَنْ يَهْزِمَ الْأَحْزَابَ، دَعَاهُ ﷺ أَنْ يَنْصُرَ سُبْحَانَهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ.

*** مِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا:**

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا**

وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

«**الرِّبَاطُ**»: مُرَاقَبَةُ الْعَدُوِّ فِي الثُّغُورِ الْمُتَاخِمَةِ لِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

أَوْ مُلَازَمَةُ الْمَكَانِ الَّذِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ -أَيِ الثُّغُورِ-؛ لِحِرَاسَةِ الْمُسْلِمِينَ وَدِيَارِهِمْ، وَلِمُرَاقَبَةِ عَدُوِّهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**».

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُ.

فَالرِّبَاطُ: الْمُثَابَرَةُ عَلَىٰ الْعَمَلِ وَالدَّأَبِ فِيهِ، وَهُوَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ؛ لِأَدَائِهَا وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ.

---

(١) «عمدة الأحكام» (رقم٤١٧)، وأخرجه البخاري (رقم٢٨٩٢) بتمامه، والحديث متفق عليه، بلفظ: «**وَالْغَدْوَةُ يَغْدُوهَا** -وفي رواية: وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا- **الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، أخرجه البخاري أيضا (رقم٢٧٩٤)، ومسلم (رقم١٨٨١).

(٢) أخرجه مسلم (رقم٢٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»: أَيْ أَنَّ الْمُقَامَ فِي حُدُودِ الْعَدُوِّ مِنَ الْكُفَّارِ؛ رَصْدًا لِحَرَكَاتِهِ، وَحِرَاسَةً لِمَنْ يَكُونُ حَوْلَهُ وَقَرِيبًا مِنْهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، رِبَاطُ يَوْمٍ بِهَذِهِ النِّيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

«**وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»: هَذَا الْمِقْدَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَعْلُومٌ تَفْضِيلُ مَوْضِعِ السَّوْطِ فِي الْجَنَّةِ عَلَىٰ الدُّنْيَا بِأَكْمَلِهَا.

«**وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»: الذَّهَابُ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ، كَمَنْ يَذْهَبُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، أَوْ لِتَعْلِيمِ قَوْمٍ وَإِرْشَادِهِمْ، أَوْ لِقِتَالِ الْكُفَّارِ، أَوْ لِأَيِّ أَمْرٍ فِيهِ صَلَاحٌ لِلدِّينِ.

«**وَالْغَدْوَةُ**»: إِذَا غَدَا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَىٰ وَسَطِهِ، «**خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مُقَامَ يَوْمٍ فِي الرِّبَاطِ، أَوْ مُقَامَ غَدْوَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ أَنْ يَغْدُوَ الْإِنْسَانُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ مَوْضِعَ سَوْطٍ أَحَدِنَا فِي الْجَنَّةِ -أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُدْخِلَنَا جَمِيعًا جَنَّةَ الْخُلْدِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ- كُلُّ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ بَاقِيَةٌ وَالدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَقَلِيلُ الْبَاقِي خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْفَانِي.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**انْتَدَبَ اللهُ** -وَلِمُسْلِمٍ: **تَضَمَّنَ اللهُ**- **لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ**

بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»(١).

وَلِلْبُخَارِيِّ(٢): **«مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»**.

---

(١) «عمدة الأحكام» (رقم٤١٨)، وهو طرف حديث أخرجه البخاري (رقم٣٦ و٣١٢٣) ومواضع، ومسلم (رقم١٨٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: «...، **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ**».

وفي رواية لهما أيضا: «**تَكَفَّلَ اللهُ**»، وفي رواية لأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٨، رقم٩١٧٤)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (رقم٤٧): «**تَوَكَّلَ اللهُ**»، والحديث قد تقدم تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (رقم٢٧٨٧).

وقد أخرج نحوه مسلم (رقم١٨٧٨)، من طريق آخر، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه أيضا، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل؟ قَالَ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ**».

«**تَضَمَّنَ اللهُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**تَكَفَّلَ اللهُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**تَوَكَّلَ اللهُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**انْتَدَبَ اللهُ**»: كُلُّهَا بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَحْقِيقُ الْمَوْعُودِ، وَمَا ضَمِنَ فِيهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَنَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ؛ لِأَنَّهُ تَكَفَّلَ فِيهِ الْقَادِرُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

ضَامِنٌ: بِمَعْنَىٰ مَضْمُونٌ، نَحْوَ عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ؛ أَيْ مَرْضِيَةٌ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: ضَمَانٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ.

وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا مُخْلِصًا، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَىٰ اللهِ فِي وَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ أَوِ اثْنَتَيْنِ، مِنْهَا:

فَإِنْ قُتِلَ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ.

وَإِنْ بَقِيَ فَقَدْ تَضَمَّنَ اللهُ أَنْ يُرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ؛ أَيْ مِنْ أَجْرٍ بِدُونِ غَنِيمَةٍ، أَوْ يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ بَيْنَ الْغَنِيمَةِ وَالْأَجْرِ.(*).

وَقَالَ ﷺ: «**مَثَلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّىٰ يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ،**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَة ٨١ - الْأَرْبِعَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ٣-٣-٢٠١٠م.

وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(*).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ**»(١).

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَضْلُ الْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

«**خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ**»: يَعْنِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

وَ«**الْغَدْوَةُ**»: الْخُرُوجُ مِنَ الْغُدُوِّ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَىٰ الزَّوَالِ.

وَ«**الرَّوْحَةُ**»: هِيَ الْخُرُوجُ فِي الرَّوَاحِ مَا بَيْنَ الزَّوَالِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

فَتِلْكَ الْغَدْوَةُ أَوِ الرَّوْحَةُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مُخْلِصًا للهِ، وَعَمَلُهُ مُوَافِقٌ لِشَرْعِ اللهِ، تِلْكَ الْغَدْوَةُ أَوِ الرَّوْحَةُ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ.

فَفِي هَذَا تَفْضِيلٌ لَهَا عَلَىٰ جَمِيعِ مَتَاعِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقُصُورِ وَالْمَزَارِعِ، وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ مَتَاعِهَا كَالنِّسَاءِ وَمَا أَشْبَهَ.

فَتِلْكَ الْغَدْوَةُ أَوِ الرَّوْحَةُ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ، مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَىٰ مَغْرِبِهَا، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يُقَادَرُ قَدْرُ فَضْلِهِ، وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «مُهَذَّبُ زَادِ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ/ ٢٦-٣-٢٠١٤م.

(١) «عمدة الأحكام» (رقم٤٢٠)، وأخرجه مسلم (رقم١٨٨٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). (*).

*** وَمِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ:**

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَ ﷺ لِأَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: «**مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**».

قَالَ: فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأُخْرَىٰ يَرْفَعُ اللهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

---

(١) «عمدة الأحكام» (رقم٤٢١)، وأخرجه البخاري (رقم٢٧٩٢ و٢٧٩٦ و٦٥٦٨)، ومسلم (رقم١٨٨٠)، وزاد البخاري: «...، **وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَىٰ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا** -يَعْنِي الخِمَارَ- **خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَة ٨١ - الْأَرْبِعَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ٣-٣-٢٠١٠م.

(٢) أخرجه البخاري (رقم٢٧٩٠ و٧٤٢٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

قَالَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ(٢) فِي سَبِيلِ اللهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ! هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟

قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

لَيْسَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ مَثَلًا أَلَّا يَكُونَ لَهُ صِيَامٌ، وَأَلَّا يَكُونَ لَهُ جِهَادٌ، أَوْ مَنْ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ لَا صَدَقَةَ لَهُ، وَلَا جِهَادَ وَلَا خَيْرَ، وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحَالُ الَّذِي تَخَصَّصَ بِهِ الْبَابُ.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم١٨٨٤)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(٢) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ١١٢): «الْمُرَادُ بِالزَّوْجَيْنِ: إِنْفَاقُ شَيْئَيْنِ مِنْ أَيِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ من نوع وَاحِد»، وقال النووي في شرحه علىٰ «صحيح مسلم» (٧/ ١١٦): «وَالْمَطْلُوبُ تَشْفِيعُ صَدَقَةٍ بِأُخْرَىٰ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَىٰ فَضْلِ الصَّدَقَةِ وَالنَّفَقَةِ فِي الطَّاعَةِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا».

(٣) أخرجه البخاري (رقم١٨٩٧) ومواضع، ومسلم (رقم١٠٢٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الصِّيَامُ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ -مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ-، وَإِذَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَةُ مَعَ مَا وَرَاءَ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَا مَحَالَةَ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ.

وَقَالَ ﷺ: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَقَالَ ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري (رقم٩٠٧ و٢٨١١)، من حديث: أَبِي عَبْسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرٍ رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه، من حديث: سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (رقم١٩١٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «مُهَذَّبُ زَادِ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢٥ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ/ ٢٦-٣-٢٠١٤م.

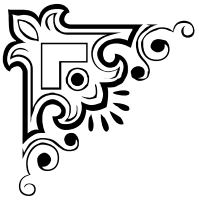

أَهْدَافُ الْجِهَادِ السَّامِيَةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْجِهَادَ شُرِعَ لِحِمَايَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الْقَائِمَةِ عَلَىٰ الْإِقْنَاعِ وَالْعَدْلِ، وَرَدِّ الظُّلْمِ الْمُوَجَّهِ إِلَىٰ حَامِلِيهَا بِإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ ضَلَالِهَا وَكُفْرَانِهَا.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩- ٤١].

لَقَدْ شُرِعَ الْجِهَادُ لِدَفْعِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ سَمَاعِ صَوْتِ الْحَقِّ، وَتُشَوِّهُ الْحَقَائِقَ لِتَصُدَّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّ الْقِتَالَ إِنَّمَا هُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَا فِي سَبِيلِ اكْتِسَابِ الْأَمْجَادِ، وَلَا لِلِاسْتِعْلَاءِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَلَا فِي سَبِيلِ مَغْنَمٍ، وَلَا فِي سَبِيلِ سِيَادَةِ جِنْسٍ عَلَىٰ جِنْسٍ.

﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ

وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠- ١٩٣].

وَشُرِعَ الْجِهَادُ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ سُلْطَةِ الْعَنَاصِرِ الْفَاسِدَةِ فِي ذَاتِهَا، وَالْمُفْسِدَةِ لِغَيْرِهَا؛ حَيْثُ تَحْمِلُ السِّلَاحَ فِي وَجْهِ الْحَقِّ، وَفِي طَرِيقِ الْعَدْلِ، وَتُخْرِجُ النَّاسَ مِنْ أَوْطَانِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، وَتَسْلُبُ مِنْهُمْ مُمْتَلَكَاتِهِمْ، وَتَهْدِمُهَا عَلَيْهِمْ؛ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا.

وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الْجِهَادِ قَتْلُ الْأَبْرِيَاءِ مِنَ الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ وَالْعُبَّادِ وَالَّذِينَ لَمْ يُشَارِكُوا فِي الْمَعْرَكَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُوصِي قُوَّادَهُ بِذَلِكَ إِذَا أَرْسَلَهُمْ فِي سَرِيَّةٍ يَغْزُونَ بِهَا، وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

الْجِهَادُ يَحْتَرِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ، وَيُحَرِّمُ الْغَدْرَ، وَيُحَرِّمُ الْخِيَانَةَ.

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أَيْ: أَعْلِمْهُمْ أَنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ قَدِ انْتَهَىٰ، لَا غَدْرَ، وَلَا خِيَانَةَ، وَلَا كَيْدَ، وَلَا اعْتِدَاءَ!!

أَعْلِمْهُمْ أَنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ قَدِ انْتَهَىٰ؛ لِيَصِلَهُمُ الْأَمْرُ عَلَىٰ وُضُوحٍ تَامٍّ، لَا تَغْدِرْ بِهِمْ، لَا تَهْجِمْ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ الْعَهْدِ بَاقُونَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ

يَكُنْ لِنَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَغْدِرَ، وَلَيْسَ مِنْ خُلُقِ أَتْبَاعِهِ الْخُلَّصِ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسِيرُونَ عَلَىٰ نَهْجِهِ، وَيَقْتَفُونَ أَثَرَهُ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِمْ-.

فَهَكَذَا الدُّعَاةُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، يَنْشُرُونَ عِلْمَهُمْ، وَيُبَلِّغُونَ سُنَّتَهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا مَا لَمْ يَفْعَلْهُ قُدْوَتُهُمْ وَأُسْوَتُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟» - الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ/ ١٣-٩-٢٠١٣م.

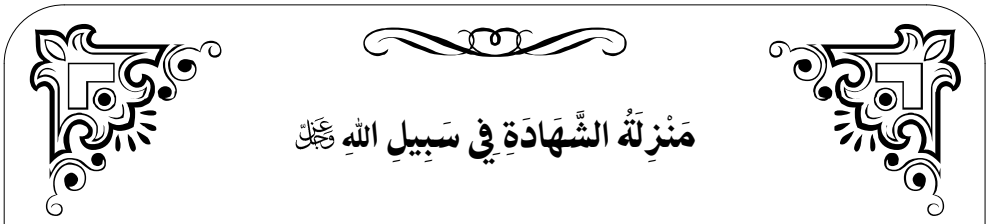

مَنْزِلَةُ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ

يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْجِهَادِ: الشَّهَادَةُ.

وَالشَّهِيدُ: هُوَ الَّذِي قُتِلَ بَاذِلًا دَمَهُ وَنَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ اللهِ، يُعَوِّضُهُ اللهُ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ -أَيْ قَبْلَ الْقِيَامَةِ-، وَفِي الْجَنَّةِ بَعْدَ الْقِيَامَةِ.(*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وَلَا تَظُنَّنَّ يَا رَسُولَ اللهِ، وَيَا كُلَّ مُؤْمِنٍ مِنْ أُمَّتِهِ، أَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا كَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللهِ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي مَحَلِّ كَرَامَتِهِ وَفَضْلِهِ، يُرْزَقُونَ، وَيَأْكُلُونَ، وَيَتَنَعَّمُونَ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَتُحَفِهَا.

إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَانُوا رِجَالًا صَابِرِينَ، إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَحْيَوْنَهَا يَشْعُرُونَ بِسَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَةِ فِي دَارِ النَّعِيمِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَة ٨١ - الْأَرْبِعَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ٣-٣-٢٠١٠م.

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

وَهُمْ يَفْرَحُونَ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَرَكُوهُمْ أَحْيَاءً فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَنْهَجِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ الله مُخْلِصِينَ لَهُ لَحِقُوا بِهِمْ، وَنَالُوا مِنَ الْكَرَامَةِ مِثْلَ الَّذِينَ نَالُوهُ، وَأَنَّهُمْ لَا خَوْفَ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا.(*).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ شِرَاءً جَازِمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي خَلَقَهَا، وَأَمْوَالَهُمُ الَّتِي رَزَقَهُمْ إِيَّاهَا، بِأَنْ يَبْذُلُوا طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ الْمَالَ؛ لِإِعْدَادِ وَسَائِلِ الْجِهَادِ، وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَرْضِ، وَيَبْذُلُوا النُّفُوسَ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَمْعِ الْكَفَرَةِ الْمُحَارِبِينَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مُقَابِلَ ثَمَنٍ يَدْفَعُهُ لَهُمْ جَزْمًا هُوَ الْجَنَّةُ.

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَإِظْهَارِ دِينِهِ، فَيَقْتُلُونَ أَعْدَاءَ اللهِ، وَيُسْتَشْهَدُونَ فِي سَبِيلِهِ، ذَلِكَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [سورة آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

قَدْ أَثْبَتَهُ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام، وَفِي الْإِنْجِيلِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ عِيسَىٰ عليه السلام، كَمَا أَثْبَتَهُ فِي الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَلَا أَحَدَ أَوْفَىٰ بِالْعَهْدِ مِنَ اللهِ لِمَنْ وَفَّىٰ بِمَا عَاهَدَ اللهَ عَلَيْهِ، فَافْرَحُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُبَايِعُونَ، وَاسْتَمْتِعُوا بِالسُّرُورِ الَّذِي يَنْزِلُ بِكُمْ؛ بِسَبَبِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ الَّذِي تَنَالُونَهُ عِوَضًا عَمَّا تَبْذُلُونَهُ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ رَبَّكُمْ.

وَذَلِكَ الْعِوَضُ الرَّفِيعُ الْمَنْزِلَةِ هُوَ وَحْدَهُ الرِّبْحُ الْكَبِيرُ، وَالظَّفَرُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُسَاوِيهِ وَلَا يَفُوقُهُ فَوْزٌ آخَرُ.(*).

*** رِيحُ دَمِ الشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحُ الْمِسْكِ:**

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»**(١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [سورة التوبة: ١١١].

(١) «عمدة الأحكام» (رقم٤١٩)، وهذا جزء من حديث؛ أخرجه البخاري (رقم٥٥٣٣) واللفظ له، ومسلم (رقم١٨٧٦)، ولفظه: «**مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ**».

وفي رواية لهما: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ**».

وفي رواية لمسلم: «**كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ، تَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ**»، والحديث قد تقدم تخريجه.

«**مَا مِنْ مَكْلُومٍ**»: مَجْرُوحٍ، «**يُكْلَمُ**»: يُجْرَحُ، «**فِي سَبِيلِ اللهِ**»: يَعْنِي بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ للهِ، وَبَذْلِ النَّفْسِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ.

«**إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ**»: أَيْ وَجُرْحُهُ يَثْعُبُ[1] مِنْهُ الدَّمُ، وَيَسِيلُ كَهَيْئَتِهِ حِينَ جُرِحَ.

«**اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**»: اللَّوْنُ أَحْمَرُ كَلَوْنِ الدَّمِ، وَلَكِنَّ الرِّيحَ رِيحُ الْمِسْكِ، وَلَيْسَ بِرِيحِ دَمٍ.

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، بِأَنْ كَانَ مُخْلِصًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بَاذِلًا نَفْسَهُ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، طَائِعًا رَاجِيًا مِنَ اللهِ ثَوَابَهُ، خَائِفًا مِنْ عِقَابِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَدْمَىٰ -يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ- كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ.

وَهَذَا فِيهِ فَضِيلَةُ مَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنَّ رَائِحَةَ دَمِهِ تَنْتَشِرُ فِي الْمَوْقِفِ، فَيَشُمُّهَا النَّاسُ جَمِيعًا كَأَنَّهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ.

فَيُشْتَرَطُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَمَا مَعْنَىٰ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

أَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا للهِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَوْجَبَ جُرْحَهُ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ صَوَابًا عَلَىٰ مَا شَرَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

---

(١) قال النووي في شرحه علىٰ «صحيح مسلم» (١٣/ ٢٢): «قَوْلُهُ ﷺ: «**وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ هُوَ**»، بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْعَيْنِ وَإِسْكَانِ الْمُثَلَّثَةِ بَيْنَهُمَا، وَمَعْنَاهُ: يَجْرِي مُتَفَجِّرًا، أَيْ: كَثِيرًا، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ يَتَفَجَّرُ دَمًا».

فَإِذَا كَانَتِ النِّيَّةُ مَدْخُولَةً، أَوْ كَانَ الْعَمَلُ عَلَىٰ غَيْرِ صَوَابٍ عَلَىٰ السُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ كَلْمُهُ كَذَلِكَ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ**»(١).

يُعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا يُسَمُّونَهُ بِالْعَمَلِيَّاتِ الِاسْتِشْهَادِيَّةِ -وَهِيَ لَيْسَتْ بِاسْتِشْهَادِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ عَمَلِيَّاتٌ انْتِحَارِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ مَا يَأْتِي بِهِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ؛ بِإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ الْبَرِيئَةِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ، وَإِتْلَافِ الْأَمْوَالِ الْمُحَرَّمَةِ عَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا هُدًىٰ- يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ عَمَلَهُمْ بَاطِلٌ، وَهُوَ مُوجِبٌ لِغَضَبِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَيْسَ بِمُوجِبٍ لِرِضَاهُ -كَمَا زَعَمُوا-.

وَلِهَذَا فَلْيَتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَلْيَتَّقِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِينَ يُفْتُونَهُمْ بِجَوَازِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْإِفْسَادِ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِخَافٍ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

قَالَ ﷺ: «**إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ**»: يَنْزِلُ مِنْهُ الدَّمُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ.

فَمَا هُوَ السَّبَبُ فِي تَغَيُّرِ رَائِحَةِ الدَّمِ -وَإِنْ كَانَ اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ؟

السَّبَبُ طِيبُ النِّيَّةِ، فَكَمَا طَيَّبَ نِيَّتَهُ طَيَّبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَائِحَةَ دَمِهِ، فَقَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَامْتَثَلَ الْأَمْرَ، وَكَانَتْ نِيَّتُهُ طَيِّبَةً، فَطَيَّبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَائِحَةَ

(١) تقدم تخريجه.

الدَّم، وَتِلْكَ الرَّائِحَةُ الْحَسَنَةُ يَسْتَدِلُّ بِهَا مَنْ شَمَّهَا عَلَىٰ حُسْنِ عَمَلِ صَاحِبِهَا، وَطِيبِ نِيَّتِهِ، وَإِخْلَاصِهِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يُرِيدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُظْهِرَ شَرَفَ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ الدَّمَ بِلَوْنِهِ، وَجَعَلَ الرَّائِحَةَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ، يَعْلَمُ ذَلِكَ أَهْلُ الْمَوْقِفِ»(١).(*).

*** هَلْ يُحْكَمُ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ بِالشَّهَادَةِ؟**

هَلْ يُقَالُ: فُلَانٌ شَهِيدٌ؟

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه **أَنَّهُ خَطَبَ، فَقَالَ**: «تَقُولُونَ فِي مَغَازِيكُمْ -يَعْنِي فِي غَزَوَاتِكُمْ- تَقُولُونَ: فُلَانٌ شَهِيدٌ! وَمَاتَ فُلَانٌ شَهِيدًا! وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ -يَعْنِي حَمَّلَهَا وِقْرًا، وَالْوِقْرُ هُوَ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ- أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٢). وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

---

(١) «تأسيس الأحكام» (٥/ ٢٨٠-٢٨٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَة ٨١ - الْأَرْبِعَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ٣-٣-٢٠١٠م.

(٢) جزء من حديث أخرجه النسائي في «المجتبىٰ» (٦/ ١١٧، رقم٣٣٤٩)، والحديث أخرجه أيضا مختصرا بدون هذا اللفظ: أبو داود في «السنن» (رقم٢١٠٦)، والترمذي في «الجامع» (رقم١١١٤/ م)، وابن ماجه في «السنن» (رقم١٨٨٧)، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

والحديث حسنه ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٩٠)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٦/ رقم١٩٢٧).

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه **قَالَ**: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رحمه الله(٢): «بَابٌ: لَا يُقَالُ فُلَانٌ شَهِيدٌ».

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ**»؛ أَيْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رحمه الله فِي بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ(٣): «وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ -أَيْ نَتْرُكُ- سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ».

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ رحمه الله فِي شَرْحِ تِلْكَ الْعَقِيدَةِ -عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ-(٤): «يُرِيدُ الطَّحَاوِيُّ: أَنَّا لَا نَقُولُ عَنْ أَحَدٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْعَشَرَةِ رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم١٢٣) ومواضع، ومسلم (رقم١٩٠٤).

(٢) «صحيحه» في (كتاب الجهاد، باب رقم ٧٧).

(٣) «العقيدة الطحاوية» مع شرح وتعليق الألباني (ص٦٧، رقم ٦٩).

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» -بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٠، (١٤١٧هـ)- (٢/ ٥٣٧).

وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ شَاءُ اللهُ إِدْخَالَهُ النَّارَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَلَكِنَّا نَقِفُ فِي الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ، فَلَا نَشْهَدُ لَهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ؛ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ بَاطِنَةٌ، وَمَا مَاتَ عَلَيْهِ لَا نُحِيطُ بِهِ، لَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ الْمُسِيئِينَ». (*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «عَلَامَاتُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ» - الْأَرْبِعَاء ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٧هـ/ ١٧-١-٢٠٠٧م.

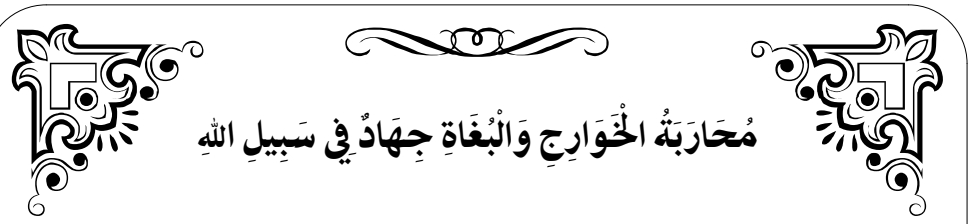

مُحَارَبَةُ الْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ

لَقَدْ عَالَجَ الْإِسْلَامُ الْإِرْهَابَ بِعِلَاجٍ حَاسِمٍ، وَآخِرُ الطِّبِّ الْكَيُّ، فَشَرَعَ حَدَّ الْحِرَابَةِ، وَهُوَ حَدٌّ شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَلِلْقَضَاءِ عَلَىٰ جَرِيمَةِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، الَّتِي تُرَوِّعُ الْأَبْرِيَاءَ وَتَقْتُلُهُمْ، وَتُخِيفُ سُبُلَهُمْ، وَتُضْعِفُ أَمْنَهُمْ، وَتُفَجِّرُ دُورَهُمْ وَمُنْشَآتِهِمْ، وَتُبَدِّدُ ثَرْوَاتِهِمْ، وَتُضَيِّعُ أَوْطَانَ الْمُسْلِمِينَ، فَشَرَعَ لِذَلِكَ كُلِّهِ حَدًّا، وَآخِرُ الطِّبِّ الْكَيُّ.(*).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٣].

«الْمُحَارِبُونَ للهِ وَرَسُولِهِ هُمُ الَّذِينَ بَارَزُوهُ بِالْعَدَاوَةِ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ؛ بِالْكُفْرِ، وَالْقَتْلِ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَإِخَافَةِ السُّبُلِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟» - ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤ هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠١٣ م.

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ فِي أَحْكَامِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ الَّذِينَ يَعْرِضُونَ لِلنَّاسِ فِي الْقُرَىٰ وَالْبَوَادِي، فَيَغْصِبُونَهُمْ أَمْوَالَهُمْ، وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَيُخِيفُونَهُمْ فَيَمْتَنِعُ النَّاسُ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ الَّتِي هُمْ بِهَا، فَتَنْقَطِعُ بِذَلِكَ.

فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّ جَزَاءَهُمْ وَنَكَالَهُمْ عِنْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ»(١). (*).

*** وَالْعُقُوبَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هِيَ عَلَىٰ هَذَا التَّرْتِيبِ:**

- **مَنْ قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ**: قُتِلَ وَصُلِبَ.

- **وَمَنْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلْ**: قُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ مِنْ خِلَافٍ.

- **وَمَنْ لَمْ يَقْتُلْ وَلَمْ يَأْخُذْ مَالًا**: نُفِيَ فِي الْأَرْضِ.

وَهَذَا مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَهَذَا هُوَ الْحَسْمُ الْقَاطِعُ، وَهَذَا هُوَ الْعِلَاجُ النَّاجِعُ، وَآخِرُ الطِّبِّ الْكَيُّ، وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.(*/٢).

عِبَادَ اللهِ! قَطْعُ الطَّرِيقِ، وَتَرْوِيعُ الْآمِنِينَ وَالسَّابِلَةِ، وَإِخَافَةُ النَّاسِ، وَتَخْرِيبُ الْمُنْشَآتِ، وَتَفْجِيرُ الْأَبْرَاجِ الْكَهْرُبَائِيَّةِ وَالْأَكْشَاكِ، وَالِاعْتِدَاءُ عَلَىٰ الْمُمْتَلَكَاتِ

---

(١) «تَفسيرُ الطَّبَرِيِّ» (١٠/ ٢٥٧ - ٢٦٨، تَحْقِيق شاكر).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ/ ٢٢/ ٥/ ٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟» - ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤ هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠١٣ م.

الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْحِرَابَةِ؛ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، مِمَّا يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعَارَ وَالشَّنَارَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا لَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ.

وَيَدْخُلُ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَفِي الْمُحَارَبَةِ للهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ: تَخْرِيبُ الْمُنْشَآتِ وَتَحْرِيقُ الْمُمْتَلَكَاتِ، وَالِاعْتِدَاءُ عَلَىٰ الْحُرُمَاتِ، وَتَبْدِيدُ ثَرْوَاتِ الْأُمَّةِ وَمُقَدَّرَاتِهَا.

كُلُّ هَذَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ حَدُّ الْحِرَابَةِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ كَمَا بَيَّنَهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَكَمَا طَبَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ مَنِ اسْتَحَقَّهُ.(*).

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّمَ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَأَنْ يَرُدَّ الشَّارِدِينَ، وَأَنْ يُعَلِّمَ الْجَاهِلِينَ، وَأَنْ يَحْفَظَ الدَّاعِينَ إِلَىٰ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، إِنَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِدْمَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ/ ٢٢/ ٥/ ٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «جِهَادٌ أَمْ إِرْهَابٌ؟» - ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤ هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠١٣ م.

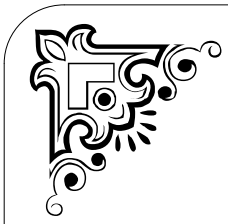

هَذِهِ هِيَ الْمُؤَامَرَةُ عَلَى مِصْرَ الْآنَ(*)

إِنَّ صُوَرَ التَّآمُرِ تتبَدَّلُ، وَتتَغَيَّرُ أَوْجُهُ الْمُتَآمِرِينَ، وَتَبْقَىٰ الْمُؤَامَرَةُ مُسْتَمِرَّةً..

وَصُورَةُ الْمُؤَامَرَةِ عَلَىٰ مِصْرَ الْآنَ تَتَمَحْوَرُ حَوْلَ إِظْهَارِ جَمَاهِيرِ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ فِي حَالِ قَطِيعَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَاكِمِهِ وَحُكُومَتِهِ.

وَالْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ: تَصْوِيرُ الْحُكْمِ فِي مِصْرَ فِي صُورَةِ الْمَسْخُوطِ عَلَيْهِ مِنْ شَعْبِهِ بِمُقَاطَعَةٍ سَلْبِيَّةٍ تَنْفِي شَرْعِيَّتَهُ وَشَعْبِيَّتَهُ.

وَالْمُقَاطَعَةُ الْمَدْعُوُّ إِلَيْهَا تَهْدِفُ بِجَانِبِ إِعْلَانِ السُّخْطِ وَالرَّفْضِ إِلَىٰ تَصْوِيرِ الْحُكْمِ فِي مِصْرَ فِي صُورَةٍ بَالِغَةٍ مِنَ الْقَمْعِ وَالْبَطْشِ وَإِرْهَابِ الدَّوْلَةِ.

وَهَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي يَبْتَغِي الْمُتَآمِرُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهَا مُصَدَّرَةٌ إِلَىٰ الْخَارِجِ؛ مِنْ أَجْلِ إِعْطَاءِ الْمُبَرِّرِ لِلتَّضْيِيقِ السِّيَاسِيِّ وَالِاقْتِصَادِيِّ، وَمُحَارَبَةِ الِاسْتِثْمَارَاتِ بِصُوَرِهَا الْمُخْتَلِفَةِ فِي مِصْرَ، وَانْتِهَاءً بِالتَّدَخُّلِ الْأَجْنَبِيِّ سِيَاسِيًّا وَعَسْكَرِيًّا.

هَذِهِ هِيَ الْمُؤَامَرَةُ عَلَىٰ مِصْرَ وَشَعْبِهَا الطَّيِّبِ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

(*) هَذَا وَمَا هُوَ آتٍ إِلَىٰ النِّهَايَةِ: خُطْبَة الْجُمُعَةِ: «**هَذِهِ هِيَ الْمُؤَامَرَة عَلَىٰ مِصْر الْآن**» - ١٤ مِنْ جُمَادَىٰ الآخِرَة ١٤٣٩هـ الْمُوَافِق ٢-٣-٢٠١٨م.

۞ جُمْلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ التَّآمُرِ عَلَى مِصْرَ الْآنَ:

*** مِنْ وَسَائِلِ التَّآمُرِ لِإِظْهَارِ الْقَطِيعَةِ وَالْبُغْضِ مِنَ الشَّعْبِ لِحَاكِمِهِ:** بَثُّ الْأَرَاجِيفِ الْمُفْتَرَاةِ الْكَاذِبَةِ، وَالْهُجُومُ الْفَاجِرُ بِشَائِعَاتِ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ عَلَىٰ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ الْبَاسِلِ النَّبِيلِ، وَقُوَّاتِ الْأَمْنِ الْمِصْرِيِّ الْوَاعِيَةِ الْمُتَيَقِّظَةِ.

*** وَمِنْ وَسَائِلِ التَّآمُرِ لِتَشْوِيهِ صُورَةِ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ النَّبِيلِ:** دَفْعُ أَكْبَرِ عَدَدٍ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ إِلَىٰ مُقَاطَعَةِ الْحَاكِمِ وَالْحُكْمِ، بِاسْتِغْلَالِ الْمُعَانَاةِ الَّتِي تَدْفَعُهَا الْجَمَاهِيرُ مِنْ أَجْلِ الْإِصْلَاحِ وَالتَّنْمِيَةِ، بِتَحْقِيقِ مَشْرُوعَاتٍ كَانَتْ قَبْلُ حُلْمَ حَالِمٍ وَخَيَالَ مُتَخَيِّلٍ، فَصَارَتْ وَاقِعًا مَحْسُوسًا وَصَرْحًا مَلْمُوسًا.

*** وَمِنْ وَسَائِلِ التَّآمُرِ عَلَىٰ مِصْرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ:** الْفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ، وَتَخَلُّقُ النُّخْبَةِ بِسَافِلِ الْأَخْلَاقِ، وَمُنْحَطِّ الصِّفَاتِ؛ مِنَ الْجُحُودِ وَالْإِفْكِ، وَالْمَيْنِ وَالْكَذِبِ، وَكُفْرَانِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَىٰ مِصْرَ فِي السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ الْفَائِتَةِ.

وَالشُّرَفَاءُ مِنَ الْمُغَفَّلِينَ الْمَخْدُوعِينَ يَنْظُرُونَ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ، وَلَا يُبْصِرُونَ أَبْعَدَ مِنْ أُنُوفِهِمْ، وَيُغَلِّبُونَ الْمَصْلَحَةَ الْقَرِيبَةَ الدَّانِيَةَ عَلَىٰ الْمَصْلَحَةِ الْعُلْيَا لِلْوَطَنِ وَاسْتِقْرَارِهِ وَتَحْقِيقِ أَمْنِهِ فِي دَاخِلِهِ وَعَلَىٰ حُدُودِهِ، وَدَفْعِ مَخَاطِرِ الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ عَنْ أَبْنَائِهِ الشُّرَفَاءِ، وَأَرْضِهِ، وَثَرْوَاتِهِ، وَمُسْتَقْبَلِ أَبْنَائِهِ.

مَنْ حَالَ بَيْنَ مُرِيدٍ لِلْإِصْلَاحِ الْحَقِيقِيِّ وَإِصْلَاحَهُ؟!!

وَمَنْ أَقْصَىٰ فَارِسًا يُرِيدُ أَنْ يَتَقَدَّمَ فِي الْمَيْدَانِ بِبَرْنَامَجِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَمِنْ مُقَدَّرَاتِهِ، مَنْ أَقْصَاهُ عَنْ إِثْبَاتِ مِصْدَاقِيَّتِهِ وَإِخْلَاصِهِ بِمَيْدَانِهِ؟!!

إِنَّ إِصْلَاحَ الْفَاسِدِ، وَتَرْقِيَةَ الْحَيَاةِ، وَتَحْقِيقَ التَّنْمِيَةِ، وَالْوُصُولَ إِلَىٰ الْكِفَايَةِ لَا تَتَحَقَّقُ بِالدَّعَاوَىٰ الْكَاذِبَةِ، وَلَا بِسَيْفِ أَبِي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ، وَكَانَ فَرُوقَةً[١] رِعْدِيدًا[٢]، اتَّخَذَ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ سَمَّاهُ: (**لُعَابَ الْمَنِيَّةِ**)!!

وَكَانَ لِأَبِي حَيَّةَ غَيْطٌ مِنْ ذُرَةٍ، فَذَهَبَ يَوْمًا يَتَعَهَّدُ حَقْلَهُ، فَسَمِعَ خَشْخَشَةً وَحَرَكَةً بَيْنَ أَعْوَادِ الذُّرَةِ، يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَلَا يُبْصِرُ الْجِرْمَ، فَظَنَّ سَارِقًا، وَتَوَهَّمَ مُفْسِدًا.

فَهَوَّلَ لَهُ خَيَالُهُ نِزَالًا وَحَرْبًا، فَامْتَشَقَ لُعَابَ الْمَنِيَّةِ، وَشَهَرَهُ مِنْ جِرَابِهِ الْقُمَاشِيِّ، وَرَاحَ يُرْعِدُ مُتَوَعِّدًا، وَيَزْأَرُ صَارِخًا، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي رَكْضِهِ وَجَوَلَانِهِ أَمَامَ حَقْلِهِ، إِذْ خَرَجَ كَلْبٌ أَجْرَبُ، يَكَادُ هُزَالُهُ يُقْعِدُهُ، فَأَغْمَدَ أَبُو حَيَّةَ سَيْفَهُ، وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ قَائِلًا: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْبًا وَكَفَانَا مَؤُونَةَ قِتَالِكَ!![٣].

---

(١) أي: كثير الخوف والفزع، انظر: «لسان العرب» (١٠/ ٣٠٤).

(٢) **الرِّعْدِيدُ**: هُوَ الذي يَرْتَعِدُ ويَرْتَعِشُ عِنْدَ الْقِتَالِ جُبْنًا، انظر: «لسان العرب» (٣/ ١٧٩).

(٣) انظر خبره في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٧٦٢، ترجمة١٨٦)، و«طبقات الشعراء» لابن المعتز (ص١٤٣-١٤٦)، و«الوافي بالوفيات» لصلاح الدين الصفدي (٢٧/ ٢٣٥، ترجمة٣٩٨)، وأبو حية النميري، هو: الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير، شاعر مشهور، سكن البصرة، وكان من أحسن الناس شعرًا، وأنظفهم كلامًا مؤتمًّا بالفرزدق، آخذًا عنه، كثير التعصب له والرواية عنه، وكان كذابًا بخيلًا جبانًا، وبه لوثة، توفي في حدود العشر والمائتين.

فَإِلَىٰ كُلِّ أَبِي حَيَّةَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ! أَفِيقُوا يَرْحَمُكُمُ اللهُ، وَاعْرِفُوا قَدْرَكُمْ، وَالْزَمُوا حَدَّكُمْ، وَلَا تَعْبَثُوا بِمُسْتَقْبَلِ وَطَنِكُمْ؛ فَإِنَّ الشُّرَفَاءَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ لَنْ يُمَكِّنُوكُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ، وَهُمْ لَكُمْ بِالْمِرْصَادِ.

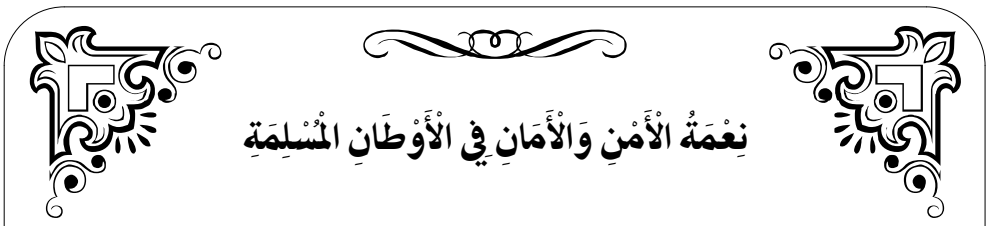

نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ فِي الْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ

مِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْوَطَنِ الْمُسْلِمِ: أَنْ يُحَافَظَ عَلَىٰ أَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ، وَأَنْ يُجَنَّبَ الْأَسْبَابَ الْمُفْضِيَةَ إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ وَالِاضْطِرَابِ وَالْفَسَادِ؛ **فَالْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ مِنْ أَعْظَمِ مِنَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَمْنَ بِالْعِبَادَةِ؛ وَذَلِكَ لِعَظِيمِ قِيمَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَالِابْتِدَاءُ بِطَلَبِ نِعْمَةِ الْأَمْنِ فِي هَذَا الدُّعَاءِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ أَعْظَمُ النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ، وَأَنَّهُ لَا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِلَّا بِهِ.

وَقَدْ سُئِلَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: الْأَمْنُ أَفْضَلُ أَمِ الصِّحَّةُ؟

فَقَالَ: «الْأَمْنُ أَفْضَلُ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ شَاةً لَوِ انْكَسَرَتْ رِجْلُهَا فَإِنَّهَا تَصِحُّ بَعْدَ زَمَانٍ، ثُمَّ إِنَّهَا تُقْبِلُ عَلَىٰ الرَّعْيِ وَالْأَكْلِ، وَأَنَّهَا إِذَا رُبِطَتْ فِي مَوْضِعٍ وَرُبِطَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ذِئْبٌ، فَإِنَّهَا تُمْسِكُ عَنِ الْعَلَفِ، وَلَا تَتَنَاوَلُ شَيْئًا إِلَىٰ أَنْ تَمُوتَ.

وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الضَّرَرَ الْحَاصِلَ مِنَ الْخَوْفِ أَشَدُّ مِنَ الضَّرَرِ الْحَاصِلِ مِنْ أَلَمِ الْجَسَدِ»(١).

وَقَدْ أَجَابَ اللهُ تَعَالَىٰ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَجَعَلَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ آمِنًا، وَجَعَلَ مَكَّةَ بَلَدًا آمِنًا، تُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنْهُ تَعَالَىٰ وَتَفَضُّلًا(٢).

وَقَرَنَ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَمْنَ بِالرِّزْقِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وَامْتَنَّ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ حَرَمِهِ الْآمِنِ بِالْأَمْنِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]؛ أَيْ: أَجَهِلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قِيمَةَ النِّعْمَةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا، وَلَمْ يُدْرِكُوا وَيُشَاهِدُوا أَنَّا جَعَلْنَا بَلَدَهُمْ مَكَّةَ حَرَمًا آمِنًا، يَأْمَنُونَ فِيهَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ، وَعَلَىٰ أَعْرَاضِهِمْ، وَالْحَالُ أَنَّ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهُمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَعْتَدِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.

---

(١) «التفسير الوسيط» (٧/ ٥٦٤).

(٢) «التفسير الوسيط» (٧/ ٥٦٨).

وَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ حَوْلَ مَكَّةَ يَغْزُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَغَاوَرُونَ وَيَتَنَاهَبُونَ، يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَيَنْهَبُ بَعْضُهُمْ مَالَ غَيْرِهِ، وَأَهْلُ مَكَّةَ مُسْتَقِرُّونَ فِيهَا آمِنُونَ، لَا يُعْتَدَىٰ عَلَيْهِمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ غَيْرِهِمْ، فَذَكَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ -بِنِعْمَةِ الْأَمْنِ-.

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧] لِلتَّعَجُّبِ مِنْ حَالِهِمْ، وَلِلتَّوْبِيخِ لَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْجُحُودِ وَالْكُفْرِ لِنِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ.

أَفَبَعْدَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ يُؤْمِنُونَ بِالْأَصْنَامِ، وَبِنِعْمَةِ اللهِ الَّتِي تَسْتَدْعِي اسْتِجَابَتَهُمْ لِلْحَقِّ يَكْفُرُونَ؟!![1].

وَكَانَ أَمْنُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَقَدْ مَدَحَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مَدْحًا عَظِيمًا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

فَجَعَلَهُ اللهُ مَرْجِعًا لِلنَّاسِ، يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَمَلَاذًا وَحِصْنًا لَهُمْ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، فَهُوَ مَوْضِعُ أَمْنِهِمْ وَاطْمِئْنَانِهِمْ[2].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٣- ٤].

---

(١) «التفسير الوسيط» (١١/ ٥٧-٥٨).

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ١٤٦)، و«التفسير الوسيط» (١/ ٢٦٨).

وَذَكَرَ تَعَالَىٰ مِنَّتَهُ عَلَىٰ سَبَأٍ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**»(١).

* **أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! اشْكُرُوا اللهَ عَلَى نِعْمَةِ الْأَمْنِ، وَلَا تَكْفُرُوهَا:**

نِعْمَةُ الْأَمَانِ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ كَكُلِّ النِّعَمِ تَتَطَلَّبُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم٢٣٤٦)، وابن ماجه في «السنن» (رقم٤١٤١)، من حديث: عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وفي رواية لابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ رقم٢١٢٦) زاد: «...، **فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِها**».
والحديث حسنه لغيره الألباني في «الصحيحة» (٥/ رقم٢٣١٨)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ رقم٨٣٣)، وله شواهد من رواية أبي الدرداء وابن عمر رضي الله عنهم.

فَالنِّعْمَةُ صَيْدٌ، والشُّكْرُ قَيْدٌ، وشُكْرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِالِاعْتِرَافِ بِهَا بِالْقَلْبِ بَاطِنًا، وَالثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمُنْعِمِ بِهَا بِاللِّسَانِ نُطْقًا ظَاهِرًا، وَتَصْرِيفِهَا فِي مَرْضَاةِ الْمُنْعِمِ بِهَا وَالْمُسْدِيهَا.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ -نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ-: الْعَبَثُ بِاسْتِقْرَارِ الْوَطَنِ وَأَمْنِهِ.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: الْمُغَامَرَةُ بِمُسْتَقْبَلِهِ، وَتَضْيِيعُ مَاضِيهِ، وَالْعَبَثُ بِحَاضِرِهِ.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: تَأْجِيجُ نِيرَانِ الْأَحْقَادِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ، وَتَقْوِيضُ دَعَائِمِ بِنَائِهِ.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: اسْتِغْلَالُ مُعَانَاةِ الْجَمَاهِيرِ الْكَادِحَةِ الْمُرْهَقَةِ الَّتِي أَرْهَقَهَا الْفَقْرُ وَطَحَنَهَا الْغَلَاءُ.

اسْتِغْلَالُ تِلْكَ الْجَمَاهِيرِ الْكَادِحَةِ الْمُرْهَقَةِ؛ لِتَكُونَ وَقُودًا لِمَعْرَكَةٍ فَاشِلَةٍ ظَالِمَةٍ، الْغَالِبُ وَالْمَغْلُوبُ فِيهَا خَاسِرَانِ، وَالْمُضَيَّعُ فِيهَا هُوَ الْوَطَنُ بِدِينِهِ وَتَارِيخِهِ، وَمَاضِيهِ، وَحَاضِرِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ، وَفِي الدُّوَلِ حَوْلَنَا عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ.

لَوْ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ شَكَرُوا نِعْمَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ؛ لَقَيَّدُوهَا لَدَيْهِمْ، وَحِينَئِذٍ يُؤْتِي اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهُمْ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْهُ، وَهِيَ سُنَّتُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي خَلْقِهِ، أَنَّهُمْ إِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ فَشَكَرُوا اللهَ تَعَالَىٰ زَادَهُمْ، وَإِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ فَجَحَدُوا نِعْمَةَ اللهِ وَكَفَرُوهَا سَلَبَهَا وَأَزَالَهَا عَنْهُمْ.

فَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْأَفْرَادِ وَفِي الْمُجْتَمَعَاتِ، أَنَّ النِّعْمَةَ لَا تَدُومُ إِلَّا بِشُكْرِهَا، وَأَنَّ النِّعْمَةَ تَزُولُ بِجَحْدِهَا وَكُفْرِهَا.

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَعْرِفُ النِّعْمَةَ -وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا-، وَإِذَا كَانَ لَا يَعُدُّ النِّعْمَةَ نِعْمَةً؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يُظَنُّ بِحَالٍ أَنْ يَقُومَ بِشُكْرِهَا؛ إِذْ هُوَ جَاهِلٌ بِهَا أَوْ جَاحِدٌ لَهَا، بَلْ هُوَ كَافِرٌ بِكَوْنِهَا نِعْمَةً، بَلْ رُبَّمَا قَدْ عَدَّهَا نِقْمَةً!!

إِذَا كَانَ النَّاسُ فِي وَطَنِهِمْ آمِنِينَ، تَرْحَلُ الظَّعِينَةُ مِنْ أَسْوَانَ إِلَىٰ رَأْسِ الْبَرِّ لَا تَخْشَىٰ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهَا.

إِذَا كَانَ النَّاسُ فِي وَطَنِهِمْ آمِنِينَ، لَا يُرَاعُونَ هَذِهِ النِّعْمَةَ، وَلَا يَقْدُرُونَهَا حَقَّهَا، وَيَعْبَثُونَ بِهَا وَيَكْفُرُونَهَا جَاحِدِينَ إِيَّاهَا، يَسْلُبُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ- تِلْكَ النِّعْمَةَ، وَيُذِيقُهُمْ لِبَاسَ الْخَوْفِ!!

فَيَتَلَدَّدُونَ.. يَخْشَوْنَ عَلَىٰ أَعْرَاضِهِمْ، وَيَخَافُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ، وَيَخْشَوْنَ عَلَىٰ ثَرْوَاتِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، تُقَطَّعُ سُبُلُهُمْ، وَتُزْهَقُ أَرْوَاحُهُمْ، وَتُسَالُ دِمَاؤُهُمْ، وَتُسْلَبُ ثَرْوَاتُهُمْ، وَتُحْرَقُ بُيُوتُهُمْ، وَتَحْدُثُ الْفَوْضَىٰ الْعَامَّةُ -نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ الْعَافِيَةَ-.

حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِي النُّفُوسِ السَّوِيَّةِ

الْوَطَنِيَّةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ عَاطِفَةٌ تُعَبِّرُ عَنِ انْتِمَاءِ الْمَرْءِ لِبَلَدِهِ، يَعْنِي أَنْ يَكُونَ انْتِمَاءُ الْمُسْلِمِ لِبَلَدِهِ وَوَطَنِهِ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ الطَّاهِرَةِ الظَّاهِرَةِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الْمُعْلَنَةِ، وَمِنْ حَيْثُ هِيَ قِيَامُ الْمُسْلِمِ بِحُقُوقِ وَطَنِهِ الْمَشْرُوعَةِ فِي الْإِسْلَامِ، الْوَطَنِيَّةُ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، وَمَقْصِدٌ دِينِيٌّ.

وَحُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِي النُّفُوسِ السَّوِيَّةِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حَقِّ مَكَّةَ عِنْدَ هِجْرَتِهِ مِنْهَا: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم٣٩٢٦)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ!...**»، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

والحديث صححه الألباني في هامش «المشكاة» (٢/ ٨٣٢، رقم٢٧٢٤)، وله شاهد من رواية عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ حُبَّ الْمَدِينَةِ لَمَّا انْتَقَلَ إِلَيْهَا وَسَكَنَهَا، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ(١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**».

وَمِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ: أَنْ يُحَافَظَ عَلَىٰ أَمْنِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ وَزَعْزَعَةِ اسْتِقْرَارِهَا، وَبَثِّ الْكَرَاهِيَةِ وَالْبُغْضِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَرَاعِيهَا.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ بَلَدِهِ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ اسْتِقْرَارِهِ وَأَمْنِهِ، وبُعْدِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الْفَوْضَىٰ، وَعَنْ الِاضْطِرَابِ، وَعَنْ وُقُوعِ الْمُشَاغَبَاتِ وَالْمُشَاحَنَاتِ، وَبَثِّ الْكَرَاهِيَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ بَلَدَهُ الْإِسْلَامِيَّ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَمُوتَ دُونَهُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ(٢)، وَالْأَرْضُ مَالٌ، فَمَنْ مَاتَ دُونَ أَرْضِهِ فَهُو شَهِيدٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم١٨٨٩) ومواضع، ومسلم (رقم١٣٧٦)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَكْوَىٰ أَصْحَابِهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**،...» الحديث، وفي رواية لهما: «**كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**،...».

(٢) أخرج البخاري (رقم٢٤٨٠)، ومسلم (رقم١٤١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

وَمِصْرُ الَّتِي لَا يَعْرِفُ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَائِهَا قِيمَتَهَا وَلَا قَدْرَهَا؛ يَنْبَغِي أَنْ يُحَافَظَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُحَافَظَ عَلَىٰ وَحْدَتِهَا(١)، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْفَوْضَىٰ وَالْاضْطِرَابَ، وَأَنْ تُنَعَّمَ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالِاسْتِقْرَارِ.

❀❀❀

(١) أخرج مسلم (رقم ١٧١٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَىٰ لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**،...»، الحديث.

قال النووي في شرحه علىٰ «صحيح مسلم» (١٢/ ١١) في قَوْله ﷺ: «... **وَلَا تَفَرَّقُوا**»، قال: «فَهُوَ أَمْرٌ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَأَلُّفِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَهَذِهِ إِحْدَىٰ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ».

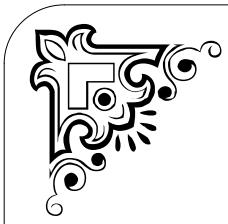

فَضْلُ مِصْرَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

فَضَّلَ اللهُ مِصْرَ عَلَىٰ سَائِرِ الْبُلْدَانِ، كَمَا فَضَّلَ بَعْضَ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَبَعْضَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَىٰ بَعْضٍ.

وَالْفَضْلُ عَلَىٰ ضَرْبَيْنِ: فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، أَوْ فِيهِمَا جَمِيعًا.

وَقَدْ فَضَّلَ اللهُ مِصْرَ وَشَهِدَ لَهَا فِي كِتَابِهِ بِالْكَرَمِ، وعِظَمِ الْمَنْزِلَةِ، وَذَكَرَهَا بِاسْمِهَا، وَخَصَّهَا دُونَ غَيْرِهَا، وَكَرَّرَ ذِكْرَهَا، وَأَبَانَ فَضْلَهَا بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ تُنْبِئُ عَنْ مِصْرَ وَأَحْوَالِهَا، وَأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا، وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَالْمُلُوكِ الْمَاضِيَةِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

يَشْهَدُ لَهَا بِذَلِكَ الْقُرْآنُ -وَكَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا-، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مِصْرَ، وَفِي عَجَمِهَا خَاصَّةً، وَذِكْرِهِ لِقَرَابَتِهِ وَرَحِمِهِمْ، وَمُبَارَكَتِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ بَلَدِهِمْ، وَحَثِّهِ عَلَىٰ بِرِّهِمْ.

رُوِيَ عَنْهُ وَوَرَدَ فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُرْوَ فِي قَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ غَيْرِهِمْ، مَعَ مَا خَصَّهَا اللهُ بِهِ مِنَ الْخِصْبِ وَالْفَضْلِ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهَا مِنَ الْبَرَكَاتِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ، وَالْخَوَّاصِ وَالْمُلُوكِ، وَالْعَجَائِبِ، بِمَا لَمْ يَخْصُصِ اللهُ بِهِ بَلَدًا غَيْرَهَا، وَلَا أَرْضًا سِوَاهَا.

فَإِنْ تَرَّبَ عَلَيْنَا مُتَرِّبٌ -أَيْ لَامَنَا لَائِمٌ- بِذِكْرِ الْحَرَمَيْنِ أَوْ شَنَّعَ مُشَنِّعٌ، فَلِلْحَرَمَيْنِ فَضْلُهُمَا الَّذِي لَا يُدْفَعُ، وَمَا خَصَّهُمَا اللهُ بِهِ مِمَّا لَا يُنْكَرُ؛ مِنْ مَوْضِعِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ نَبِيِّهِ وَقَبْرِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَلَيْسَ مَا فَضَّلَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ بِبَاخَسٍ فَضْلَ مِصْرَ، وَلَا بِنَاقِصٍ مَنْزِلَتَهَا.

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ ذِكْرِ مِصْرَ:

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧].

وَمَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ قَوْلِ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «هِيَ مِصْرُ»(١).

وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ مِصْرَ: «هِيَ الْبَهْنَسَا».

---

(١) أخرج ابن وهب في تفسير القرآن من «الجامع» (٢/ رقم٣٤١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢١٢)، بإسناد صحيح، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنه قال في قول الله: ﴿رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]: «**هي مصر**»، وهو قول وهب بن مُنَبّه، وروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب نحوه.

وَقِبْطُ مِصْرَ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ عليهما السلام كَانَا بِالْبَهْنَسَا، وَانْتَقَلَا عَنْهَا إِلَىٰ الْقُدْسِ(١).

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «الرَّبْوَةُ: دِمَشْقُ»(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٠].

وَالْمَدِينَةُ مَنْفٌ، وَالْعَزِيزُ رَئِيسُ وُزَرَاءِ مِصْرَ حِينَئِذٍ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥].

هِيَ مَنْفُ مَدِينَةُ فِرْعَوْنَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠].

هِيَ مَنفٌ أَيْضًا.

---

(١) «فتوح الشام» (٢/ ١٩٨-٢٠٠).

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ رقم١٩٦٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، قَالَ: «هِيَ دِمَشْقُ ذَاتُ قَرَارٍ، وَمَعِينِ الْغَوْطَةِ»، وهو قول ابن عباس ويزيد بن شجرة وعبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن جبير والضحاك ومقاتل، وروي عن أبي أمامة مرفوعا بنحوه، ولا يصح.

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ فِرْعَوْنَ وَافْتِخَارِهِ بِمِصْرَ: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ حِينَ وَصَفَ مِصْرَ وَمَا كَانَ فِيهِ آلُ فِرْعَوْنَ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْمُلْكِ بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ مَشْرِقًا وَلَا مَغْرِبًا، وَلَا سَهْلًا وَلَا جَبَلًا، وَلَا بَرًّا وَلَا بَحْرًا: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧].

وَالْمَقَامُ الْكَرِيمُ مِصْرُ، فَقَدْ كَرَّمَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَوَصَفَهَا بِالْكَرَمِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

فَهَلْ يُعْلَمُ أَنَّ بَلَدًا مِنَ الْبُلْدَانِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ بِمِثْلِ هَذَا الثَّنَاءِ، أَوْ وَصَفَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْوَصْفِ، أَوْ شَهِدَ لَهُ بِالْكَرَمِ غَيْرَ مِصْرَ؟!

وَرَوَىٰ أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

---

(١) أخرجه مسلم (رقم٢٥٤٣)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ،...**» الحديث، وفي رواية له: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّىٰ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَىٰ أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا** -أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا-،...»، الحديث.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ: «**إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**»(١). صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» وَغَيْرِهَا.

فَأَمَّا الرَّحِمُ: فَإِنَّ هَاجَرَ -أُمَّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام- مِنَ الْقِبْطِ مِنْ قَرْيَةٍ نَحْوَ الْفَرَمَا، يُقَالُ لَهَا -أَيْ لِهَاجَرَ-: أَمُّ الْعَرَبِ.

وَأَمَّا الذِّمَّةُ: فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم تَسَرَّىٰ مِنَ الْقِبْطِ مَارِيَةَ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهِيَ مِنْ قَرْيَةٍ نَحْوَ الصَّعِيدِ، يُقَالُ لَهَا (حَفْنٌ) مِنْ كُورَةِ (أَنْصِنَا)(٢).

وَالْكُورَةُ تَشْمَلُ عَدَدًا مِنَ الْقُرَىٰ وَيُقَابِلُهَا الْمَرْكَزُ فِي النِّظَامِ الْإِدَارِيِّ الْمِصْرِيِّ الْحَاضِرِ.

وَ(أَنْصِنَا) مَدِينَةٌ أَزَلِيَّةٌ مِنْ نَوَاحِي الصَّعِيدِ شَرْقِيِّ النِّيلِ، وَفِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ قُيِّدَ زِمَامُهَا بِاسْمِ (الشَّيْخُ عُبَادَةَ)، وَمَكَانُهَا الْيَوْمَ الْأَطْلَالُ الْوَاقِعَةُ شَرْقِيَّ النِّيلِ، بِمَرْكَزِ (مَلَّوِي) بِمُحَافَظَةِ الْمِنْيَا.

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص١٩-٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ رقم١١١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٣، رقم٤٠٣٢)، من حديث: كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ**...» الحديث، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ رقم١٣٧٤).

(٢) أخرج ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٩١)، بإسناد صحيح، عَنْ ابْنِ لَهِيعَةَ، قَالَ: «أُمُّ إِبْرَاهِيمَ: مَارِيَةُ سُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُقَوْقِسُ مِنْ حَفْنَ مِنْ كُورَةِ أَنْصِنَا».

فَالْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ كَافَّةً لَهُمْ نَسَبٌ بِمِصْرَ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِمْ مَارِيَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْقِبْطُ أَخْوَالُهُمْ.

صَارَتِ الْعَرَبُ كَافَّةً مِنْ مِصْرَ بِأُمِّهِمْ هَاجَرَ، فَهِيَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْمَاعِيلُ هُوَ أَبُو الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرِبَةِ، وَهُوَ جَدُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ﷺ، وَهُوَ أَبُو الْعَرَبِ، وَجَدُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، هِيَ أُمُّ الْعَرَبِ، هَاجَرُ الْمِصْرِيَّةُ.

وَقَدْ كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُلُوكِ مِنْهُمْ هِرَقْلُ، فَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَكَتَبَ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ صَاحِبِ مِصْرَ فَأَجَابَهُ عَنْ كِتَابِهِ جَوَابًا جَمِيلًا، وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ ثِيَابًا وَكُرَاعًا -وَالْكُرَاعُ اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ، وَالْكُرَاعُ السِّلَاحُ أَيْضًا- وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ ثِيَابًا وَكُرَاعًا وَجَارِيَتَيْنِ مِنَ الْقِبْطِ؛ مَارِيَةَ وَأُخْتَهَا وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ عَسَلًا، فَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ، وَتَسَرَّىٰ مَارِيَةَ، فَأَوْلَدَهَا ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَهْدَىٰ أُخْتَهَا لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَأَوْلَدَهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانٍ رضي الله عنهم(١).

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ١١١-١١٢)، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر والمغرب» (ص٦٦-٦٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٤٦-٣٢٤٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٩٥-٣٩٦)، من طرق: «لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ بَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ الْقِبْطِيِّ صَاحِبِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَيْهِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ،...».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **أَنَّهُ قَالَ**: «دَعَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ؛ لِوَلَدِهِ وَلِوَلَدِ وَلَدِهِ: مِصْرَ بْنِ بَيْصَرَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ، وَبِهِ سُمِّيَتْ مِصْرُ، وَهُوَ أَبُو الْقِبْطِ.

قَالَ -أَيْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ-: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ، وَأَسْكِنْهُ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْبِلَادِ، وَغَوْثُ الْعِبَادِ، وَنَهْرُهَا أَفْضَلُ أَنْهَارِ الدُّنْيَا، وَاجْعَلْ فِيهَا أَفْضَلَ الْبَرَكَاتِ، وَسَخِّرْ لَهُ وَلِوَلَدِهِ الْأَرْضَ، وَذَلِّلْهَا لَهُمْ، وَقَوِّهُمْ عَلَيْهَا»(١).

وَالْكَعْبَةُ: الْبَيْتُ الْحَرَامُ، بَيْتُ هَاجَرَ وَابْنِهَا إِسمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اللَّذَيْنِ كَانَا يَسْكُنَانِهِ، وَرُوِيَ(٢) أَنَّ الْبَيْتَ هُدِمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَلَّتْ قُرَيْشٌ بِنَاءَهُ رَجُلًا مِنَ الْقِبْطِ يُقَالُ لَهُ: (بَاقُوم)، فَأَدْرَكَهُ الْإِسْلَامُ -أَيْ أَدْرَكَ الْإِسْلَامُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ- وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْبِنَاءِ.

وَقَدْ صَاهَرَ الْقِبْطَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِتَسَرِّيهِ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر والمغرب» (ص٢٧)، وذكره المقريزي في «المواعظ والاعتبار» (١/ ٣٩-٤٠)، والقلقشندي في «صبح الأعشىٰ» (٣/ ٣٥١)، والسيوطي في «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١/ ٣٤).

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٩٢-١٩٣)، عن ابْنِ إِسْحَاقَ، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ١٢٠-١٢٢)، ومن طريقه: ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٢٥)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وأخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٥٧-١٥٨)، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، وفي (١/ ١٧٠)، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالُوا: «أَنَّ اسْمَ النَّجَّارِ الَّذِي بَنَىٰ الْكَعْبَةَ لِقُرَيْشٍ بَاقُومُ وَكَانَ قِبْطِيًّا».

وَكَذَلِكَ يُوسُفُ بِتَزَوُّجِهِ بِبِنْتِ صَاحِبِ عَيْنِ شَمْسٍ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وَكَذَلِكَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ صَاهَرَ الْمِصْرِيِّينَ بِتَسَرِّيهِ مَارِيَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ(١).

فَلِمِصْرَ قَدْرُهَا حَقِيقَةً وَوَاقِعًا، تَارِيخًا وَجُغْرَافِيَةً، وَكَذَلِكَ شَرْعًا وَدِينًا، وَعَلَىٰ أَبْنَائِهَا أَنْ يَحْمَدُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَصُونُوهَا، وَأَنْ يُحَافِظُوا عَلَىٰ أَمْنِهَا، وَأَنْ يُحْبِطُوا كَيْدَ أَعْدَائِهِمْ، وَأَنْ يُفْسِدُوا عَلَىٰ الْمُتَآمِرِينَ مُؤَامَرَاتِهِمْ، وَأَنْ يَتَّقُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي حَاضِرِ بَلَدِهِمْ، وَفِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَفِي تَارِيخِهِ، وَفِي تُرَاثِهِ، وَفِي أَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ، وَفِي تَنْمِيَتِهِ وَتَرَقِّيهِ فِي مَدَارِجِ الْعُلَىٰ - وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ لَقَادِرُونَ بِقُدْرَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ-.

إِنَّهُمْ لِذَلِكَ لَفَاعِلُونَ بِحِفْظِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَمُضِلَّاتِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَبِتَآلُفِهِمْ وَتَكَاتُفِهِمْ، وَنَزْعِ الشِّقَاقِ وَالْبَغْضَاءِ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَتَنْقِيَةِ قُلُوبِهِمْ وَصُدُورِهِمْ لِوُلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَبِتَآلُفِهِمْ وَالْتِفَافِهِمْ حَوْلَهُمْ؛ مِنْ أَجْلِ نَفْيِ الْفَوْضَىٰ، وَمِنْ أَجْلِ دَفْعِ الْفَسَادِ، وَمِنْ أَجْلِ إِحْبَاطِ الْمُؤَامَرَاتِ وَالْخُطَطِ الَّتِي تُحَاكُ لَيْلًا وَنَهَارًا لِهَذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبِ، وَلِأَهْلِهِ وَشَعْبِهِ، وَثَرْوَتِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحْفَظَ بَلَدَنَا وَجَمِيعَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، إِنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

❀❀❀

(١) «فضائل مصر المحروسة» لأبي عمر الكندي (ص٦-١٢).

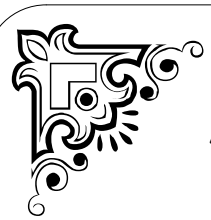

الْخِلَافُ وَالْإِسْرَافُ مَرَضَانِ يُهَدِّدَانِ الْأُمَّةَ

فَأَمْرَانِ كَبِيرَانِ يَقَعَانِ عَلَىٰ التَّزَامُنِ مِنْ غَيْرِ افْتِرَاقٍ، خِلَافٌ يَدُبُّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ فِي الْقُطْرِ الْوَاحِدِ، وَفِي الْبَلَدِ الْوَاحِدِ، وَفِي النَّجْعِ الْوَاحِدِ، وَفِي الْقَرْيَةِ الْوَاحِدَةِ، بَلْ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ.

وَإِسْرَافٌ نَهَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ، وَحَذَّرَ مِنْهُ، وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ أَعْدَىٰ أَعْدَائِهِ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْبَشَرِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]، وَهُوَ فِرْعَوْنُ اللَّعِينُ.

ووَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْإِسْرَافِ، وَحَذَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْعَالَمِينَ مِنْهُ، وَنَهَىٰ عَنِ الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْخَصْلَةِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي وُصِفَ بِهَا هَذَا الَّذِي تَأَبَّىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا بِزَعْمِهِ، فَادَّعَىٰ أَنَّهُ رَبٌّ وَإِلَهٌ!!

هَذَانَ الْأَمْرَانِ؛ مِنْ تَهْيِيجِ الْعَدَاوَاتِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ، وَمِنَ الْإِسْرَافِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ الْوُقُوعِ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَائِهَا.

هَذَانِ الْأَمْرَانِ فِي كَلِمَتَيْنِ تَوْرَاتِيَّتَيْنِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَحْسَبُونَ أَنَّ أَعْدَاءَهُمْ يُحَارِبُونَهُمْ حَرْبًا عَقَائِدِيَّةً، وَإِنَّمَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ

يُرِيدُونَ الِاسْتِيلَاءَ عَلَىٰ الثَّرْوَاتِ، وَعَلَىٰ احْتِلَالِ الدِّيَارِ وَالْمَمَالِكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْبَادِ الْقُلُوبِ.

فِي «سِفْرِ إِشْعِيَاءَ»، فِي الْإِصْحَاحِ التَّاسِعَ عَشَرَ، مِنْ رَقْمِ ثَلَاثَةٍ إِلَىٰ رَقْمِ سَبْعَةٍ، يَقُولُ:

«وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ، فَيُحَارِبُونَ.. كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، مَدِينَةٌ مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةً، وَيُهْرَاقُ رُوحُ مِصْرَ دَاخِلَهَا، وَتُنَشَّفُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَيَجُفُّ النَّهْرُ وَيَيْبَسُ، وَتُنْتِنُ التُّرَعُ، وَتَضْعُفُ وَتَجِفُّ سَوَاقِي مِصْرَ، وَيَتْلَفُ الْقَصَبُ وَالْأَسَلُ».

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا قِيلَ لَهُ: إِنَّ مَا يَقَعُ بَيْنَكُمْ -مَعَاشِرَ الْمِصْرِيِّينَ- أَمْرٌ يُبَيَّتُ لَهُ مِنْ قَدِيمٍ قَدِيمٍ، وَهِيَ عَقِيدَةٌ تُعْتَقَدُ، وَتُتَّخَذُ لَهَا التَّدَابِيرُ وَالْخُطَطُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَصِيرَ وَاقِعًا تَعِيشُونَهُ، وَتَلْفَحُكُمْ نَارُهُ.

«وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ، حَتَّىٰ يَكُونَ الْأَخُ يَقْتُلُ أَخَاهُ».

وَالنَّصُّ: «وَأُهَيِّجُ» هَكَذَا!!

«وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ»: يَتَنَاحَرُونَ، يَتَقَاتَلُونَ، يَسْبِي أَحَدُهُمْ أَخَاهُ، وَيَقْتُلُ أَحَدُهُمْ أَخَاهُ، وَيَعْتَدِي أَحَدُهُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ.

«وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ، فَيُحَارِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، مَدِينَةٌ مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةً».

وَالنَّتِيجَةُ فِي تَخَالُفِ أَبْنَاءِ الْبَلَدِ الْوَاحِدِ، وَفِي تَعَادِي أَبْنَاءِ الْقُطْرِ الْوَاحِدِ، وَفِي اسْتِنْزَافِ طَاقَاتِ قُوَّاتِ الْبَلَدِ الْوَاحِدِ بِأَبْنَائِهِ، النَّتِيجَةُ: «وَيُهْرَاقُ رُوحُ مِصْرَ دَاخِلَهَا!!».

حَفِظَهَا اللهُ، وَسَلَّمَهَا وَجَمِيعَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا، لَوْ إِنَّ مِصْرِيًّا قِيلَ لَهُ هَذَا عَلَىٰ هَذَا التَّأْصِيلِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ؛ لَأَنْكَرَهُ؛ لِقُصُورِ النَّظَرِ، وَقِلَّةِ الْحِيلَةِ، وَتَشْوِيشِ الْفِكْرِ، وَمَا وَقَعَ مِنَ الْغَزْوِ فِي الْمُعْتَقَدِ وَفِي الثَّقَافَةِ الْعَامَّةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْجَمَاهِيرَ مِنْ جُمُوعِ الشَّبَابِ فِي مِصْرَ قَدِ اسْتُلِبُوا، وَعُبِثَ بِهُوِيَّتِهِمْ، وَتَرَبَّوْا عَلَىٰ مَنَاهِجَ لَمْ تَنْبُعْ مِنْ دِينِهِمْ، وَلَا مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ، وَلَا مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِمْ، وَلَا مِنْ تُرَاثِهِمْ، وَلَا مِنْ تَارِيخِهِمْ، وَلَا مِنْ مَاضِيهِمُ الْمُشْرِقِ، وَلَا مِنْ مَجْدِهِمْ وَفَخَارِهِمْ.

وَإِنَّمَا فُرِّغَتْ أَجْيَالٌ، ثُمَّ حُشِيَتْ بَعْدُ وَمُلِئَتْ بِشَيْءٍ آخَرَ يَجْعَلُ الْمَرْءَ مُشَوَّهًا، لَا يَنْتَمِي لِدِينٍ وَلَا يُحَافِظُ عَلَىٰ عِرْضٍ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَىٰ أَرْضٍ، وَيَدْخُلُ فِي اللَّامُبَالَاةِ وَفِي الِاسْتِهَانَةِ، وَهِيَ الدَّاءُ الدَّوِيُّ الْقَاتِلُ الَّذِي اسْتَحْوَذَ عَلَىٰ قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ.

دَاءُ الِاسْتِهَانَةِ، النَّارُ تَرْعَىٰ فِي ثِيَابِ أَكْثَرِهِمْ، وَتَطَالُهُمْ نِيرَانُ الْفِتَنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَهُمْ يُشَاهِدُونَ آثَارَ الْمُؤَامَرَاتِ حَوْلَهُمْ فِي بُلْدَانٍ كَانَتْ مُسْتَقِرَّةً آمِنَةً، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا، مِنْ بِلَادٍ لَمْ تَكُنْ مَدِينَةً لِأَحَدٍ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ، كَانَتْ فِي كِفَايَةٍ، بَلْ فِي رَغَدٍ، وَكَانَتْ وَاعِدَةً لِأَبْنَائِهَا بِمُسْتَقْبَلِ ثَرْوَتِهَا الَّتِي آلَتْ إِلَيْهَا.

ثُمَّ وَقَعَ مَا وَقَعَ، وَدَبَّ مَا دَبَّ بِإِحْدَاثِ الْفَجْوَةِ، وَتَعْمِيقِ الْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْحُكَّامِ وَرَعِيَّتِهِمْ، مِمَّا أَدَّىٰ إِلَىٰ مَا أَدَّىٰ إِلَيْهِ؛ مِنْ إِنْفَاذٍ لِلْمُؤَامَرَةِ الصُّهْيُو صَلِيبِيَّةِ الْمَاسُونِيَّةِ، الَّتِي تَضَافَرَ عَلَىٰ إِنْجَاحِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَعْدَاءٌ لِهَذَا الدِّينِ؛ مِنْ مَشْرِقٍ وَمَغْرِبٍ، وَمِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، الَّذِينَ يُصَلُّونَ إِلَىٰ قِبْلَتِنَا، وَيُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيَنْطِقُونَ بِلُغَتِنَا، وَلَكِنَّهُمْ انْحَازُوا إِلَىٰ أُولَئِكَ، وَصَارُوا إِلْبًا وَعَدُوًّا قَاهِرًا مُغَامِرًا بِأَبْنَاءِ دِينِهِمْ وَأَبْنَاءِ عُرُوبَتِهِمْ وَسَاكِنِي وَطَنِهِمْ، حَتَّىٰ آلُوا إِلَىٰ مَا آلُوا إِلَيْهِ.

الْجَمَاهِيرُ الَّتِي اسْتُلِبَتْ، وَالْجَمَاهِيرُ الَّتِي ابْتُلِيَتْ بِدَاءِ الِاسْتِهَانَةِ كَأَنَّهَا لَا تَرَىٰ!! تَعْشُو مِنْهَا الْأَنْظَارُ بَلْ تَعْمَىٰ، فَلَا تَكَادُ تُبْصِرُ شَيْئًا، بَلْ لَا تُبْصِرُ شَيْئًا، وَذَهَبَ الْإِدْرَاكُ عَنْ حِسِّهَا، تَبَلَّدَ، لَا؛ بَلْ مَاتَ، فَهِيَ لَا تَتَّعِظُ وَلَا تَعْتَبِرُ، وَحَتَّىٰ إِذَا مَا وَقَعَ عَلَيْهَا شَيْءٌ فَإِنَّهُ لَا يُثْمِرُ نَتِيجَةً مَرْجُوَّةً، وَقَدْ ذَاقُوا الَّذِي ذَاقُوهُ، وَسَلَّمَ اللهُ.

وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ سَلَّمَ مَا بَقِيَ أَحَدٌ فِي أَمْنٍ وَلَا أَمَانٍ، وَلَا هُدُوءٍ وَلَا اطْمِئْنَانٍ، وَلَا سِلْمٍ وَلَا سَلَامٍ، وَلَانْتُهِكَتِ الْأَعْرَاضُ، وَسُلِبَتِ الثَّرْوَاتُ، وَأُرِيقَتِ الدِّمَاءُ، وَأُزْهِقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَصَارَ جَمْعُ الْوَطَنِ بَدَدًا، وَشَمْلُهُ مُمَزَّقًا، وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ.

لَوْ تَأَمَّلْتَ فِي هَذَا دَلَّكَ عَلَىٰ وُجُوبِ الْتِزَامِ الصَّبْرِ وَالْحِكْمَةِ، وَعَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَّخَذَ الدِّينُ تُكَأَةً مِنْ أَجْلِ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَوُقُوعِ الْفَوْضَىٰ؛ فَكُلُّ هَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَمَنْ وَقَعَ فِيهِ فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِأَعْدَاءِ اللهِ، مُنَفِّذٌ لِخُطَطِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَتْبَاعِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ كُلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِهِمْ قَيْنًا وَعَبْدًا مِنَ الْأُمَمِيِّينَ، الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً.

فَعَلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ وَاعِيًا لِدِينِهِ، مُحَافِظًا عَلَىٰ يَقِينِهِ، مُلْتَزِمًا لِأَمْرِ رَبِّهِ، مُتَّبِعًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْأَىٰ بِنَفْسِهِ عَنْ إِحْدَاثِ الْفَوْضَىٰ وَالشَّرِّ، وَأَنْ يَكُونَ بِمَبْعَدَةٍ عَنْ تَقْرِيرِ مَا هُوَ بَعِيدٌ عَلَىٰ أَعْدَائِنَا حَتَّىٰ يَصِيرَ دَانِيًا، فِيهِ قُرَّةُ الْعَيْنِ لَهُمْ، وَفِيهِ مَا تَرَىٰ مِمَّا يُتَوَعَّدُ بِهِ أَهْلُ مِصْرَ، حَفِظَهَا اللهُ تَعَالَىٰ وَرَعَاهَا وَسَائِرَ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، تَخَالُفٌ، وَتَدَابُرٌ، وَتَقَاطُعٌ، وَشِقَاقٌ، وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ، حَتَّىٰ يَقْتُلَ الْأَخُ أَخَاهُ، وَحَتَّىٰ يَسْبِيَ الْأَخُ أَخَاهُ، مَدِينَةً مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةً مَمْلَكَةً، حَتَّىٰ تَتَبَدَّدُوا فِي الْأَرْضِ مِزَقًا وَبِدَدًا.

هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، تَوْرَاتِيٌّ مَحْضٌ.

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ مِنَ التَّخَالُفِ، وَالتَّهَارُجِ، وَالتَّنَاوُشِ، وَالتَّقَاتُلِ، وَالتَّصَارُعِ، وَأَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا فِي اللهِ مُتَحَابِّينَ، لَا مُتَدَابِرِينَ، وَلَا مُتَقَاطِعِينَ، دَاعِينَ إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ تَعَالَىٰ بِمَا يَشَاءُ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-، وَالْأَمْرُ للهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَقْضِي بِمَا يُرِيدُ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّمَ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي فَهُوَ: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النِّعَمِ لَا يَعْرِفُ الْعَبْدُ قَدْرَهَا إِلَّا إِذَا فَقَدَهَا، وَنِعْمَةُ الْمَاءِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ هَذَا الْبَلَدِ بِمَا أَجْرَىٰ فِيهَا مِنَ النَّهْرِ الْمُبَارَكِ، نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ.

فَيَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَىٰ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَأَلَّا يُسْرِفُوا فِيهَا مُبَدِّدِينَ إِيَّاهَا، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يَرْضَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُحِبُّهُ.

فَالْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِ أَتْبَاعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ.

وَهُوَ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ:

* إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِأَنْ تَبْذُلَ فَوْقَ مَا تَحْتَمِلُهُ طَاقَتُكَ، فَهَذَا إِسْرَافٌ كَمِّيٌّ.

* **وَأَمَّا الْإِسْرَافُ الْكَيْفِيُّ**: فَأَنْ تَتَجَاوَزَ بِذَلِكَ الْإِنْفَاقِ الْحَدَّ، وَلَوْ كَانَ فِي دِرْهَمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ وَضْعَ الْقَلِيلِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مِمَّا يُغْضِبُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هُوَ إِسْرَافٌ؛ لِأَنَّ وَضْعَ الْقَلِيلِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مِمَّا يُغْضِبُ اللهَ إِسْرَافٌ وَلَوْ كَانَ دِرْهَمًا وَاحِدًا، فَلَيْسَ بِكَثْرَتِهِ عَدًّا، وَإِنَّمَا بِوَضْعِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ كَيْفًا.

فَالْإِسْرَافُ مِنْ حَيْثُ الْكَيْفُ مَا أُنْفِقَ فِي مَعْصِيَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَوْ كَانَ أَقَلَّ الْقَلِيلِ.

فَإِنَّ الْمَرْءَ وَلَوْ مَلَكَ أُلُوفًا مُؤَلَّفَةً، وَأَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَوَضَعَ دِرْهَمًا وَاحِدًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، كَانَ مُسْرِفًا مُتَوَعَّدًا بِمَا يُتَوَعَّدُ بِهِ مَنْ أَسْرَفَ، وَتَجَاوَزَ، وَتَعَدَّىٰ، وَظَلَمَ.

كَأَنْ يَضَعَ دِرْهَمًا فِي يَدِ فَاجِرَةٍ، أَوْ يَشْتَرِي بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ -وَقَدْ مَلَكَ أُلُوفًا مُؤَلَّفَةً- خَمْرًا، فَهُوَ مُسْرِفٌ، وَإِنْ كَانَ مَا أَنْفَقَهُ قَلِيلًا.

وَأَمَّا وَضْعُ الْكَثِيرِ وَلَوِ اسْتَمَلَ عَلَىٰ الْمَالِ كُلِّهِ فِي طَاعَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، فَلَا يُعَدُّ إِسْرَافًا، كَمَا فَعَلَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَدْ أَتَىٰ بِمَالِهِ كُلِّهِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَدَقَةً يَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَىٰ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛ طَاعَةً لِلَّهِ وَطَاعَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَانْسَلَخَ مِنْ مَالِهِ جَمِيعًا، وَلَمْ يُرَاجِعْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يُعَدَّ مُسْرِفًا.

فَمَهْمَا وَضَعْتَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ مَالٍ مِمَّا يَرْضَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَهْمَا كَثُرَ ذَلِكَ الَّذِي تُعْطِي للهِ جَلَّوَعَلَا فَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِسْرَافٍ.

وَمَهْمَا وَضَعْتَ مِنْ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي آتَانَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعَمَتِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَهُوَ إِسْرَافٌ يُبَدِّدُ رُوحَ أُمَّةٍ، وَيُصَحِّرُ أَرْضَ قُطْرٍ مِنْ أَقْطَارِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ فِيهِ، وَأَنْ يَحْفَظَهُ وَسَائِرَ أَقْطَارِ الْمُسْلِمِينَ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ مَا يَدُورُ عِنْدَ مَنْبَعِ النِّيلِ، وَلَا عَلَىٰ مَدَارِ مَجْرَاهُ، فَيُؤَثِّرُ عَلَىٰ مَصَبِّهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُخَطَّطٌ تَوْرَاتِيٌّ عَلَىٰ حَسَبِ النُّبُوءَةِ، كَمَا فِي الْمَوْضِعِ نَفْسِهِ -الَّذِي مَرَّ-.

وَمِنْ عَجَائِبِ اتِّفَاقِ الْمَقَادِيرِ أَنْ يَكُونَ هَذَا النَّصُّ التَّوْرَاتِيُّ الْمُدَّعَىٰ الْمُفْتَرَىٰ الْمَكْذُوبُ نَصًّا شَامِلًا لِلْأَمْرَيْنِ، وَقَدْ تَزَامَنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ.

«وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ»؛ لِكَيْ يَسِيرَ الْمُجْتَمَعُ إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ، فَإِذَا وَقَعَتْ -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ- فَقَدْ خَسِرَ هَذَا الْقُطْرُ الْمُسْلِمُ الْعَظِيمُ مَكَاسِبَ الْإِسْلَامِ فِيهِ عَلَىٰ مَدَىٰ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

«وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَىٰ مِصْرِيِّينَ، فَيُحَارِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، وَكُلُّ وَاحِدٌ صَاحِبَهُ»، وَتَقَعُ الْفَوْضَىٰ فِي الْقُطْرِ الَّذِي نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحْفَظَهُ اللهُ بِحِفْظِهِ الْجَمِيلِ، «مَدِينَةً مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةً مَمْلَكَةً، وَيُهْرَاقُ رُوحُ مِصْرَ دَاخِلَهَا»!!

ثُمَّ يَأْتِي الشِّقُّ الثَّانِي: «وَتُنَشَّفُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ»؛ لِأَنَّ الْمَاءَ إِذَا قَلَّ عِنْدَ الْمَصَبِّ وَهُوَ يَصُبُّ -أَيِ النَّهْرُ- فِي الْبَحْرِ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-، تَتَحَقَّقُ هَذِهِ النُّبُوءَةُ فِي «سِفْرِ إِشْعَيَاءَ، فِي الْأَصْحَاحِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ رَقْمِ ثَلَاثَةٍ إِلَىٰ رَقْمِ سَبْعَةٍ»: «وَتُنَشَّفُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ».

وَهُمْ يُحَاوِلُونَ تَحْوِيلَ الْمَجْرَىٰ عِنْدَ الْمَنْبَعِ بِأَنْ يَصُبَّ النَّهْرُ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَأَلَّا يَمْضِيَ فِي طَرِيقِهِ كَمَا هُوَ مَعْهُودٌ مَرْسُومٌ لَهُ بِقَدَرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

حَاوَلُوا ذَلِكَ قَدِيمًا فَلَمْ يُفْلِحُوا، ثُمَّ يُحَاوِلُونَ مَا يُحَاوِلُونَ؛ بِبِنَاءِ السُّدُودِ، وَتَقْلِيلِ حِصَّةِ مِصْرَ مِنَ الْمِيَاهِ؛ حَتَّىٰ لَا يَصِلَ إِلَىٰ هَذِهِ الدِّيَارِ -الَّتِي نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحْفَظَهَا، وَأَنْ يُبَارِكَ فِي أَبْنَائِهَا، وَأَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ أَهْلِهَا حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ؛ حَتَّىٰ يَكُونُوا جَمِيعًا عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

يُحَاوِلُونَ مَا يُحَاوِلُونَ؛ حَتَّىٰ لَا يَصِلَ إِلَىٰ هَذِهِ الدِّيَارِ مَا يَكْفِيهَا مِنْ مِيَاهِ النَّهْرِ، فَتَقِلُّ الْمِيَاهُ، وَحِينَئِذٍ تَقَعُ النُّبُوءَةُ التَّوْرَاتِيَّةُ -بِزَعْمِهِمْ-.

وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ عَمَلِيُّونَ، لَيْسُوا بِخَيَالِيِّينَ، هُمْ يَعْرِفُونَ كَيْفَ يُنَفِّذُونَ، وَيُخَطِّطُونَ قَبْلَ التَّنْفِيذِ، وَيُحْسِنُونَ التَّنْفِيذَ بَعْدَ التَّخْطِيطِ؛ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ تَحْقِيقِ النُّبُوءَةِ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ مَعْصُومَةٌ، وَوَعْدٌ إِلَهِيٌّ لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ.

«وَتُنَشَّفُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَيَجِفُّ النَّهْرُ -يَعْنِي: نَهْرَ مِصْرَ، نَهْرَ النِّيلِ- وَيَيْبَسُ وَتُنْتِنُ التُّرَعُ، وَتَضْعُفُ، وَتَجِفُّ سَوَاقِي مِصْرَ، وَيَتْلَفُ الْقَصَبُ وَالْأَسَلُ».

هَذَا كُلُّهُ مَبْذُولٌ، صَارَ مَعْرُوفًا، فَمَاذَا صَنَعَ قَوْمِي؟!!

مَرُّوا مُرُورَ الْكِرَامِ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعُوا شَيْئًا، وَلَمْ يُعَوِّلُوا عَلَىٰ شَيْءٍ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ!!

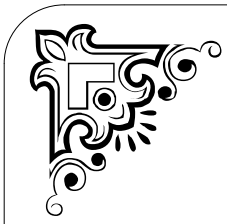

دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ

قَالَ ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدًا فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هَذَا الدِّينُ العَظِيمُ لَمْ يُبِحْ لِأَحَدٍ قَطُّ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَوْ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، فَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلَمْ يُوَفَّ حَقُّهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّمَا هُوَ الْقِصَاصُ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَبْعَثُ الخَلَائِقَ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَقْضِي بَيْنَهُمْ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَكَمَا بَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ فِي خِطَابِهِ.

يَبْعَثُ اللهُ تَعَالَىٰ الخَلَائِقَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَقْضِي رَبُّنَا بَيْنَهَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ؛ حَتَّىٰ لَيَفْصِلَ رَبُّكَ بَيْنَ الشَّاةِ الجَلْحَاءِ الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا وَالشَّاةِ القَرْنَاءِ الَّتِي لَهَا قَرْنٌ، فَنَطَحَتْ بِهِ الجَلْحَاءَ، وَلَمْ يُقْتَصَّ مِنْهَا هَاهُنَا، يَقْتَصُّ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ القَرْنَاءِ لِلجَلْحَاءِ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي

---

(١) جزء من حديث، أخرجه مسلم (رقم ١٨٤٨)، من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وطرفه: **خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**،...» الحديث.

الحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ»(١)؛ فَيُنشئُ لِلْجَلْحَاءِ قَرْنَيْنِ، فَتَضْرِبُ وَتَنْطَحُ الْأُخْرَىٰ كَمَا نَطَحَتْهَا وَضَرَبَتْهَا، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا(٢)، عَدْلٌ مَحْضٌ.

إِنَّهُ العَدْلُ الَّذِي لَا عَدْلَ فَوْقَهُ.

إِنَّهُ الحَقُّ الَّذِي لَا حَقَّ بَعْدَهُ.

وَلَمْ يُعْلَمْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ دِينًا أَهَانَهُ وَظَلَمَهُ أَبْنَاؤُهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ كَدِينِ الْإِسْلَامِ العَظِيمِ، فَمَا أَكْثَرَ مَا شَوَّهَهُ بَعْضُ مَنِ انْتَمَىٰ إِلَيْهِ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ ظُلْمًا وَزُورًا وَبُهْتَانًا!!

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٨٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**».

(٢) أخرجَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُويه فِي «مُسنَدِه» (رقم ١٠)، وابنُ أَبي الدُّنْيا في «الأَهْوالِ» (رَقْم ١٨٠)، وَفِي مَواضعَ أُخْرَىٰ مُخْتَصَرًا ومُطَوَّلًا، ومحمدُ بنُ نَصرٍ المَروزِيُّ في «تَعظيمِ قَدرِ الصَّلاةِ» (رَقْم ٢٧٣)، وَالطبريُّ في «تَفسيرِه» (٢٤/ ١٨٠)، والعُقَيليُّ في «الضُّعفاءِ» (٤/ ١٤٧، ترجمة ١٧١٤)، والطبرانيُّ فِي «الأَحاديثِ الطوالِ» (رقم ٣٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**»... الحَدِيث.

وَهُوَ حَدِيثُ الصور الطويلُ، حَسَّنَهُ بِهَذا اللفظِ بِشَواهِدِهِ الأَلبانيُّ في «الصحيحَةِ» (٤/ رقم ١٩٦٦).

لَا يُعْلَمُ دِينٌ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ فَرَّطَ فِيهِ أَقْوَامٌ مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ كَهَذَا الدِّينِ العَظِيمِ، كَأَنَّمَا يَسْعَوْنَ جَاهِدِينَ لِتَشْوِيهِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، يُشَوِّهُونَهُ حَتَّىٰ فِي أَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ الْجَاهِلِينَ، وَعِنْدَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ!!

مَا الَّذِي أَفَادَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَالتَّجَاوُزَاتِ؟!!

لَمْ يُفِدْ شَيْئًا، بَلْ وَقَعَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ ضَرَرٌ وَحَيْفٌ وَظُلْمٌ، وَعَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَىٰ الْعُلَمَاءِ الْمُسْتَنِيرِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَعَ الظُّلْمُ، وَوَقَعَ التَّهَارُجُ وَالتَّهَارُشُ وَالتَّفَرُّقُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَفْعَالِ بَعْضِ مَنْ يَنْتَمِي إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

وَلَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَكُونَ دَائِمًا مَا يَقَعُ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَالِاعْتِدَاءِ، وَالتَّفْجِيرِ، وَالتَّدْمِيرِ، وَالتَّخْرِيبِ، وَالْقَتْلِ، لَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَكُونَ مَا يَقَعُ مِنْ ذَلِكَ دَائِمًا وَاقِعًا عَلَىٰ أَيْدٍ مُسْلِمَةٍ آثِمَةٍ ظَالِمَةٍ، وَلَكِنْ مَا يَحْدُثُ وَمَا سَبَقَ أَنْ حَدَثَ مِنَ الْأَحْدَاثِ جَعَلَ النَّاسَ إِذَا وَقَعَ شَبِيهٌ لَهَا يَقُولُونَ: إِنَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ الْمُسْلِمِينَ.

وَا حَسْرَتَاهُ!! صَارَ مَقْرُونًا بِالمُسْلِمِ وَصْفُ الْإِرْهَابِ، وَهُوَ مِنْهُ بَرَاءٌ.

هَذَا دِينٌ عَلَّمَ الدُّنْيَا السَّلَامَ، عَلَّمَ الدُّنْيَا الرَّحْمَةَ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَ الدُّنْيَا الرَّحْمَةَ، حَتَّىٰ بِالنَّبَاتِ: «**لَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً وَلَا تَحْرِقُوهَا**»(١)، بَلْ حَتَّىٰ بِالْجَمَادِ: «**لَا تَهْدِمُوا بُنْيَانًا وَلَا تَنْقُضُوهُ**»(٢).

لَا تُخَرِّبُوا فِي الأَرْضِ وَلَا تُفْسِدُوا فِيهَا.

عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَالَمَ الرَّحْمَةَ، ثُمَّ يَصِيرُ دِينُهُ الْحَقُّ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ لَهُ وَلَنَا وَلِلْعَالَمِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ دينا وَمُعْتَقَدًا، يَصِيرُ دِينُهُ الْحَقُّ مَسْبُوبًا عَلَىٰ كُلِّ لِسَانٍ بِأَفْعَالٍ خَرْقَاءَ.

لَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، نَسْأَلُ اللهَ أَلَّا يَكُونَ، وَأَنْ يَنْتَبِهَ الْمُسْلِمُونَ؛ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا يُكَادُ لَهُمْ، وَمَا يُدَبَّرُ لَهُمْ بِلَيْلٍ فِي السَّرَادِيبِ الْمُظْلِمَةِ، بَلْ عَلَىٰ قَوَارِعِ الطُّرُقِ؛ مِنْ أَجْلِ تَفْتِيتِ وَحْدَتِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ تَمْزِيقِ عُرَىٰ وَطَنِهِمْ، الَّذِي تُرْفَعُ عَلَيْهِ جُمَلُ الْأَذَانِ، مُسَبِّحَةً بِحَمْدِ اللهِ، مُكَبِّرَةً أَمْرَهُ، رَافِعَةً شِعَارَ تَوْحِيدِهِ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. أَشْهَدُ أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**».

«**مَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «سُنَنِهِ» (٢٣٨٤)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «المَرَاسِيلِ» (رَقْمَ ٣١٦)، مُرْسَلًا، بِلَفْظِ: «**وَلَا تَحْرِقْ نَخْلًا، وَلَا تُغْرِقْهَا، وَلَا تَقْطَعْ شَجَرَةً مُثْمِرَةً**،...»، وأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢٣٦٨) مَوْصُولًا بِنَحْوِهِ، وَالحَدِيثُ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الكُبْرَىٰ» (٩/ رَقْمَ ١٨١٥٦)، عَنْ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ، مُرْسَلًا، بِلَفْظِ: «...، **وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا**»، وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَوْلَهُ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا، بِلَفْظِ: «...، **وَلَا تُخْرِبُوا عُمْرَانًا**»، أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «المُوَطَّأِ» (الجِهَادُ، رَقْمَ ١٠، ت عَبْدِ البَاقِي)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الكُبْرَىٰ» (٩/ رَقْمَ ١٨١٥٠).

النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ، الَّذِي ذَكَرَهُ مَوْصُولًا إِلَيْهِ ﷺ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَكَذَا فِي الْحَدِيثِ الْمَوْقُوفِ عَلَىٰ جُنْدَبٍ رضي الله عنه عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»[1]: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفٍّ مِنْ دَمٍ هَرَاقَهُ** -أَيْ أَرَاقَهُ- **فَلْيَفْعَلْ**».

مَفْهُومُ هَذَا الْمَنْطُوقِ: أَنَّ مَنْ أَهْرَاقَ مِلْءَ كَفٍّ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَنَّةِ رَبِّنَا الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ.

❀❀❀

(١) «صحيح البخاري» (رقم٧١٥٢)، عن جندب رضي الله عنه لما قيل له: أَوْصِنَا، قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ،...» فذكره موقوفا.

وأخرجه مرفوعا عبد الرزاق في «المصنف» (رقم٣٣٧٩)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (رقم١١٩)، والنسائي في «جزء فيه مجلسان» (رقم٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٩-١٦٠)، وفي «الأوسط» (٨/ رقم٨٤٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٩٦٦ و٥٣٧٠)، من حديث: جُنْدُبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَحُولَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ يُهْرِيقُهُ كَأَنَّمَا يَذْبَحُ دَجَاجَةً، كُلَّمَا تَقَدَّمَ لِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَلَّا يُدْخِلَ بَطْنَهُ إِلَّا طَيِّبًا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ**».

والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٧/ رقم٣٣٧٩).

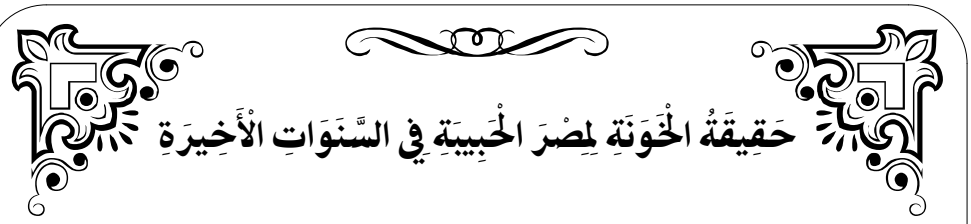

حَقِيقَةُ الْخَوَنَةِ لِمِصْرَ الْحَبِيبَةِ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ

أَيُّ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَوْ تَعُودُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، بَلْ تَعُودُ عَلَىٰ مِصْرَ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَمِنْ بَثِّ الشَّحْنَاءِ وَالْكَرَاهِيَةِ، وَإِشَاعَةِ الشَّائِعَاتِ الْفَاجِرَةِ الظَّالِمَةِ؟!

كُلُّهَا إِفْكٌ وَبُهْتَانٌ!!

أَقْوَامٌ مَرَّ عَلَيْهِمْ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ؛ يَصِيحُونَ، بَلْ يَنْعَقُونَ عَلَىٰ الْخَرَائِبِ كَالْبُومِ مِنْ دُوَلٍ تُحَارِبُ بَلَدَهُمْ، فَتُحَارِبُ -تَبَعًا- دِينَ بَلَدِهِمْ، تُحَارِبُ مُسْتَقْبَلَهُمْ، تُحَارِبُ أَعْرَاضَهُمْ، تُهَدِّدُهُمْ فِي أَعَزِّ مَا يَمْلِكُونَ، فِي دِينِهِمْ؛ بِمُحَاوَلَةِ إِشَاعَةِ الْفَوْضَىٰ، وَبَثِّ رُوحِ الْكَرَاهِيَةِ وَالثَّوْرَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبِ!!

مَرَّ عَلَيْهُمْ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ مِنْ شُذَّاذِ الْآفَاقِ مِنَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الرُّجُولَةَ، وَقَدْ فَرُّوا فِرَارَ النَّعَامِ!!

لِمَ لَمْ تَبْقُوا فِي بَلَدِكُمْ، وَتُعْلِنُوا كَلِمَتَكُمْ، وَتَتَحَمَّلُوا تَبِعَةَ مَا تَقُولُونَ، وَمَسْئُولِيَةَ مَا بِهِ تَنْطِقُونَ؟!!

أَيُّهَا الْخَوَنَةُ الْكَذَبَةُ! أَيُّهَا الْجُبَنَاءُ! يَا مَنْ فَرَرْتُمْ فِرَارَ النَّعَامِ، يُطْعِمُكُمْ وَيَغْذُوكُمْ، وَيُنْفِقُ عَلَيْكُمْ -كَمَا يُنْفِقُ الرَّجُلُ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ وَأَمَتِهِ، لَا عَلَىٰ عَبْدِهِ، بَلْ عَلَىٰ أَمَتِهِ- أَعْدَاءُ بَلَدِكُمْ، أَعْدَاءُ دِينِكُمْ، أَعْدَاءُ مُسْتَقْبَلِكُمْ.

يُنْفِقُونَ عَلَيْكُمْ، تَنْعَمُونَ بِمَا يَبْذُلُونَ لَكُمْ مِنْ مَالٍ حَرَامٍ، فِيهِ مِنَ الْإِسْرَافِ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ وَضْعٌ لَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلَوْ أَنْفَقَتْهُ دَوْلَةٌ تَمْلُكُ مَالَ الْأَرْضِ كُلَّهُ، فَهُوَ إِسْرَافٌ؛ لِوَضْعِهِ مَوْضِعَ الْمُحَارَبَةِ لِدِينِ اللهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ الْآمِنِينَ؛ مِنْ أَجْلِ إِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ، وَاسْتِبَاحَةِ أَعْرَاضِهِمْ، وَسَلْبِ مُقَدَّرَاتِهِمْ وَثَرْوَاتِهِمْ، وَسَفْكِ دِمَائِهِمْ، وَالْعَبَثِ بِمُسْتَقْبَلِ أَبْنَائِهِمْ وَحَفَدَتِهِمْ.

مَرَّتْ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ، مَرَّتْ كَئِيبَةً حَزِينَةً يَائِسَةً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ، وَسَتَمُرُّ أَعْوَامٌ وَأَعْوَامٌ إِنْ لَمْ يَكْفُوا، وَكَيْفَ يَكْفُونَ؟!! هِيَ سَبُّوبَتُهُمْ، هِيَ مَا بِهِ يَعِيشُونَ، وَمِنْهُ يُنْفِقُونَ.

وَتَصَوَّرْ إِنْسَانًا سُلِبَتْ مِنْهُ إِنْسَانِيَّتُهُ، دَعْكَ مِنَ الدِّينِ، وَمِنَ الْمُثُلِ، وَمِنَ الْقِيَمِ، وَمِنَ التَّعَالِيمِ، وَلَكِنْ سُلِبَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ، تَدَنَّىٰ، فَصَارَ أَحَطَّ مِنَ الْحَيَوَانِ، فَإِنَّ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مَا يُدَافِعُ عَنْ جُحْرِهِ، وَمِنَ الطُّيُورِ مَا يُدَافِعُ عَنْ عُشِّهِ، بَلْ مِنَ الْحَشَرَاتِ، النِّمَالُ، النَّحْلُ، يُحَافِظُونَ عَلَىٰ وَطَنِهِمْ وَمُسْتَقَرِّهِمْ، وَيَمُوتُونَ دُونَ أَمْنِهِمْ وَدُونَ ذُرِّيَّتِهِمْ.

هَؤُلَاءِ سُلِبُوا هَذَا كُلَّهُ، فَأَنَّىٰ يَرْعَوُونَ، وَمَتَىٰ يَكْفُّونَ، وَحَيَاتُهُمْ مَوْصُولَةٌ بِهَذَا النَّتْنِ الَّذِي مِنْهُ وَعَلَيْهِ يَعِيشُونَ؟!!

مَرَّتْ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ يُهَيِّجُونَ هَذَا الشَّعْبَ الطَّيِّبَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَثُورَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْتَفِضَ -كَمَا يَقُولُونَ-، وَيَدَّعُونَ أَنَّ الثَّوْرَةَ مُسْتَمِرَّةٌ!!

أَيُّ ثَوْرَةٍ؟!!

هَذِهِ كَانَتِ انْتِفَاضَةً، كَأَنَّهَا انْتِفَاضَةُ مَحْمُومٍ، وَلَّتْ وَذَهَبَتْ، وَصَحَّ الْجَسَدُ بَعْدُ، وَأَفَاقَ أَبْنَاءُ هَذَا الْوَطَنِ إِلَّا مَنْ كَانَ مُتَآمِرًا خَائِنًا، لَا يُحَافِظُ عَلَىٰ دِينٍ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَىٰ وَطَنٍ، لَا يَنْتَمِي إِلَىٰ أَرْضٍ وَلَا عِرْضٍ.

وَآخِرُ فُرْصَةٍ هِيَ هَذِهِ الَّتِي عَلَيْهَا الْآنَ يَتَكَالَبُونَ، وَيُقَامِرُونَ عَلَىٰ هَذَا الشَّعْبِ؛ حَتَّىٰ يَقِفَ نَاحِيَةً، لِكَيْ يُعَبِّرَ تَعْبِيرًا سَلْبِيًّا، نَاطِقًا بِلِسَانٍ غَيْرِ نَاطِقٍ، وَبِمَنْطِقٍ لَيْسَ سِوَىٰ صَامِتٍ؛ أَنَّهُ لَا يَرْضَىٰ!! وَلَكِنَّهُ مَقْمُوعٌ مَقْهُورٌ، وَكَذَبُوا!!

أَلَا تَرَىٰ الدُّنْيَا؟!!

أَلَا تُبْصِرُ؟!!

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ أُوتِيَ ذَرْوًا مِنَ الْعَقْلِ وَقَلِيلًا مِنَ الْحِكْمَةِ مَا يَجْرِي فِي مِصْرَ، وَمَا مَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ؟!!

أَيُّ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَوْ تَعُودُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، بَلْ تَعُودُ عَلَىٰ مِصْرَ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟!!

ضَرَرٌ مَاحِقٌ.. وَخَرَابٌ مُبِينٌ.. وَفُرْقَةٌ وَشَتَاتٌ.. وَتَأَخُّرٌ لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَرَمْيٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا هُمْ مِنْهُ بُرَآءُ، وَتَنَازُلَاتٌ عَنْ ثَوَابِتَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ

الْعَظِيمِ؛ لِعَدَمِ الْمُرَاعَاةِ لِلضُّغُوطِ الْعَالَمِيَّةِ؛ لِأَنَّ وَطَنَنَا تَمْخُرُ سَفِينَتُهُ بَيْنَ أَنْوَاءِ الْفِتَنِ وَعَوَاصِفِهَا فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ.

يَنْبَغِي أَلَّا يُحَاوِلَ أَحَدٌ قَطُّ أَنْ يَخْرِقَ سَفِينَةَ الْوَطَنِ خَرْقًا، وَمَنْ فَعَلَ فَوَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ!!

وَيْلٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرِقَ السَّفِينَةَ؛ لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ!!

وَطَنٌ تَمْخُرُ سَفِينَتُهُ فِي بِحَارٍ عَاصِفَاتٍ، وَفِتَنٍ مُدْلَهِمَّاتٍ تَهُبُّ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَاكَ، مِنْ دَاخِلٍ وَخَارِجٍ، وَكَيْدٍ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، وَأَمْرٍ مُسْتَقِرٍّ قَدْ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ عِزَّةً لِلدِّينِ ظَاهِرَةً، يُفَرِّطُ فِيهَا مَنْ يَسْتَبْدِلُ بَعْرَةً بِدُرَّةٍ!!

مَنْ يَدَعُ الدُّرَّةَ الْيَتِيمَةَ لِيَلْتَقِطَ بَعْرَةً نَتِنَةً؟!!

وَمَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَائِقٌ مَجْنُونٌ، أَوْ خَائِنٌ مَفْتُونٌ، أَوْ هُمَا مَعًا.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَعْظَمُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا..... ٤

مَعْنَىٰ الْجِهَادِ وَنَوْعَاهُ وَشُرُوطُهُ ٧

* كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْجِهَادِ ٩

فَضَائِلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ..... ١١

* مِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ ١١

* مِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا..... ١٢

* مِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ ١٨

أَهْدَافُ الْجِهَادِ السَّامِيَةِ..... ٢١

مَنْزِلَةُ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ..... ٢٤

* رِيحُ دَمِ الشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحُ الْمِسْكِ..... ٢٦

* هَلْ يُحْكَمُ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ بِالشَّهَادَةِ؟ ٢٩
مُحَارَبَةُ الْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ٣٢
هَذِهِ هِيَ الْمُؤَامَرَةُ عَلَىٰ مِصْرَ الْآنَ ٣٥
جُمْلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ التَّآمُرِ عَلَىٰ مِصْرَ الْآنَ ٣٦
نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ فِي الْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ ٣٩
* أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! اشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ نِعْمَةِ الْأَمْنِ، وَلَا تَكْفُرُوهَا ٤٢
حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِي النُّفُوسِ السَّوِيَّةِ ٤٥
فَضْلُ مِصْرَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ٤٨
الْخِلَافُ وَالْإِسْرَافُ مَرَضَانِ يُهَدِّدَانِ الْأُمَّةَ ٥٦
دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالسَّلَامِ ٦٥
حَقِيقَةُ الْخَوَنَةِ لِمِصْرَ الْحَبِيبَةِ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ ٧٠
الْفِهْرِسُ ٧٥